المملكة العربية السعودية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

عمادة التعليم عن بعد

مذكرة مقرر التوحيد

إعداد طلاب وطالبات

كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية

"نظام الانتساب المطور"

المستوى الأول

١٤٣٠/١٤٢٩

الطلاب والطالبات المشاركين في إخراج هذه المحاضرة

عدد	الموضوع	قام بتفريغها
١	المحاضرة الأولى	مياس
٢	المحاضرة الثانية	مياس
٣	المحاضرة الثالثة	مياس
٤	المحاضرة الرابعة	طالبه طموحه
٥	المحاضرة الخامسة	طالبه طموحه
٦	المحاضرة السادسة	طالبه طموحه
٧	المحاضرة السابعة	ألوان الرياض
٨	المحاضرة الثامنة	ألوان الرياض
٩	المحاضرة التاسعة	ألوان الرياض
١٠	المحاضرة العاشرة	طالبه طموحه
١١	المحاضرة الحادية عشرة	طالبه طموحه
١٢	المحاضرة الثانية عشرة	طالبه طموحه
١٣	المحاضرة الثالثة عشرة	نجمة
١٤	المحاضرة الرابعة عشرة	نجمة
١٥	المحاضرة الخامسة عشرة	نجمة
١٦	المحاضرة السادسة عشرة	فواز الحميدي
١٧	المحاضرة السابعة عشرة	فواز الحميدي
١٨	المحاضرة الثامنة عشرة	فواز الحميدي
١٩	المحاضرة التاسعة عشرة	فواز الحميدي
٢٠	المحاضرة العشرون	فواز الحميدي
٢١	قام بمراجعة وتنسيق المحاضرات ١- ١٥	**TheDream**
٢٢	قام بمراجعة وتنسيق المحاضرات ١٦-٢٠	عزيز النفس

مفردات المقرر

التمهيد ويتضمن:

١. العقيدة، تعريفها وأهميتها.

٢. التعريف بأهل السنة والجماعة من حيث: ألقابهم، أهم خصائصهم، مصادر التلقي في الاعتقاد عندهم.

٣. التسليم لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم:

أ- التسليم للنصوص، وأنه مقتضى الشهادتين.

ب- نفي التعارض بين العقل والنقل، وبيان منزلة العقل ودوره في الإسلام، وعدم استقلاليته في معرفة أصول الدين.

ج- حجية خبر الآحاد في مسائل الاعتقاد.

٤. حكم المعرفة الإجمالية والتفصيلية لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥. أسباب الانحراف عن العقيدة الصحيحة.

أصول الإيمان:

١. المراد بهاو أدلتها، وحكم الإيمان بها.

٢. مراتب الدين الثلاث، والفرق بينها.

الأصل الأول: الإيمان بالله:

١. التوحيد: أنواعه، وأدلة كل نوع، ومنهج أهل السنة فيه، وبيان أن الأصل في البشرية التوحيد.

٢. (لا إله إلا الله): معناها و أركانها وشروطها و نواقضها.

٣. العبادة: معناها وأنواعها، ومفهومها الشامل.

٤. الكفر والشرك والنفاق: تعريفاتها وأنواعها، ووجوب الحذر منها.

٥. الولاء والبراء: مفهومهما، ومنزلتهما من الدين.

٦. قواعد في أسماء الله تعالى وصفاته.

الأصل الثاني: الإيمان بالملائكة:

١. ما يتضمنه الإيمان بالملائكة، وأدلته، وثمراته.

٢. أنواع الملائكة، وما وكلوا به، وأدلة ذلك.

الأصل الثالث: الإيمان بالكتب:

١. ما يتضمنه الإيمان بالكتب، مع الأدلة.

٢. الوحي: المراد به، وأنواعه.

٣. تحريف الكتب السابقة، ونسخها بالقرآن الكريم.

٤. القرآن الكريم، وكونه كلام الله تعالى منزلا غير مخلوق.

٥. حفظ الله تعالى للقرآن الكريم.

الأصل الرابع الإيمان بالرسل.

١. تعريف النبوة والرسالة.
٢. ما يتضمنه الإيمان بالرسل.
٣. دلائل النبوة، وأنواع خوارق العادات، والفرق بينها.
٤. المراد بأولي العزم من الرسل.
٥. الإيمان بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام، ووجوب تصديقه وطاعته ومحبته وإتباع شرعه.
٦. خصائص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وخصائص نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.
٧. بيان إنكار الرسالة المحمدية يستلزم الطعن في الربوبية.

أهداف المقرر:

١. ترسيخ عقيدة أهل السنة والجماعة في نفوس الطلاب.
٢. إدراك الطلاب مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة.
٣. معرفة الطلاب منزلة العقل، وعدم استقلاله بمعرفة أصول الدين على التفصيل.
٤. فهم الطلاب معنى التوحيد، وأدلته، ومنزلته، وأنواعه.
٥. معرفة الطلاب لما يضاد التوحيد من الشرك والنفاق والكفر، وأنواع ذلك.
٦. إدراك الطلاب لمعنى الإيمان بالملائكة، وآثار ذلك.
٧. تعريف الطلاب بالمراد بالكتب، وإدراك أدلة تحريف الكتب السابقة، وحفظ القرآن الكريم.
٨. تمكين الطلاب من معرفة حقيقة النبوة والرسالة، ودلائل إثبات النبوة.
٩. إدراك الطلاب مفهوم الإيمان بالرسل الكرام إجمالا، وما يخص نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.
١٠. إلمام الطلاب بمفهوم الولاء والبراء وأحكامهما.

المراجع:

١. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للشيخ صالح الفوزان.
٢. شرح العقيدة الطحاوية، للإمام ابن أبي العز.
٣. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، للشيخ محمد بن عثيمين.
٤. معارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي.

المحاضرة الأولى

العقيدة لغة:

مأخوذة من مادة عقد وهي تدور على المعاني التالية العزم والجزم والاستيثاق وتطلق أيضا على العهد وتطلق أيضا على التأكيد فلو لاحظنا العقود التي تحتاج إلى عزم وجزم لاحظنا أنها تطلق على هذه المادة مثل عقد البيع ومثل عقد النكاح أيضا الاستيثاق يقال عقدت الحبل أي استوثقت من طرفيه وكما ذكرت مادة عقد تطلق على العهد ومنه قوله عز وجل (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ**) أي أوفوا بالعهود هذه معاني العقيدة في لغة العرب.

العقيدة اصطلاحاً:

هي ما يدين به الإنسان لربه ويعتقده بقلبه من أمور الدين وذالك إن الدين يتضمن أعمال الجوارح وأعمال القلوب كما جاء في الصحيحين من حديث جبريل المشهور لما سئل النبي (ﷺ) عن الإسلام ذكر له أركان الإسلام الظاهرة المتعلقة بالجوارح ثم سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن باليوم الآخر والقدر خيره وشره ثم قال النبي (ﷺ) في آخر الحديث هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم فجعل الدين متضمن لأعمال الجوارح وأعمال القلوب فالعقيدة تتعلق بالجانب المتعلق بالقلب وسيأتي لاحقاً إن شاء الله ماهية هذه الأمور المتعلقة بالقلب.

هل هناك علاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي؟

نعم هناك علاقة بين المصطلحين هو إن أمور العقيدة لابد فيها من عزم وجزم واستيثاق فلا ينفع فيها التردد والشك بخلاف مسائل أمور الدين الأخرى وهناك مسائل قد يتردد الإنسان فيها ولا يؤثر هذا على دينه أما أمور الاعتقاد المتعلقة بمسائل الإيمان فلابد فيها من العزم التام والجزم الكامل وان يقولها الإنسان ويعتقدها مستوثقاً بها قلبه ولهذا قال سبحانه وتعالى (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**) أي لم يشكو ولم يترددوا أي عندنا علاقة بين المعني اللغوي والمعنى الاصطلاحي لمادة عقد.

هل استخدم هذا المصطلح عند علماء المسلمين؟

نعم استخدم قديماً فمن أول من استخدم هذا الاصطلاح الإمام أبو حاتم الرازي رحمه الله سنة ٣٢٧ هـ في كتاب سماه (أصل السنة واعتقاد الدين) أيضا ممن أطلق هذا الاسم على هذا العلم الإمام أبو القاسم الألكاني رحمة الله في كتابه المشهور المطبوع (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) إذا هذا المصطلح كان دارجاً ومشهوراً ومعروفاً عند علمائنا الأوائل أأمة السلف رحمهم الله.

التوحيد لغة:

مصدر وحد يوحد توحيداً مأخوذ من الإفراد فيقال وحدت الشيء أي أفردته.

التوحيد اصطلاحاً:

إفراد الله عز وجل بما يستحقه سبحانه وتعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته.

العلاقة بين التوحيد والعقيدة:

التوحيد اخص من العقيدة وذلك إن علم العقيدة يتضمن التوحيد ومسائل أخرى متعلقة بالتوحيد وهو يتضمن الإيمان باليوم الآخر والقدر والرسل وما يتعلق بهذه المسائل الجانبية، أما التوحيد فهذا الاسم متعلق بالأصل الأول وهو الإيمان بالله وأطلق على علم التوحيد هذا الاسم لان أعظم مسائل هذا العلم هو توحيد الله عز وجل أي العلاقة بين التوحيد والعقيدة عموم وخصوص.

أهمية دراسة علم العقيدة.

علم العقيدة هو أهم العلوم على الإطلاق وذالك لان السعادة للفرد وللأمة في الدنيا الآخرة متوقفة على سلامة المعتقد أي أن السعادة الحقيقية وصحة الأعمال متوقفة على سلامة عقيدة هذا الإنسان.

أمثلة لصحة العقيدة قول الله سبحانه وتعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً)

انتبه هنا لكلمة خاشعة وعاملة ناصبه كلها لعبادة الله وما النتيجة هنا !! تصلى ناراً حامية لان العقيدة هنا فاسدة والعياذ بالله، ولهذا لما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه احد الرهبان والراهب هو عابد النصارى الذي انقطع للعبادة عن الناس وترك الدنيا وملذاتها وشهواتها وخلا بنفسه يتعبد الله عز وجل لما رآه عمر بكى قيل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين راهب يتعبد في صومعته قال تذكرت قول الله عز وجل (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ)... الآية.

عائشة رضي الله عنها كما في صحيح البخاري سئلت النبي (ﷺ) قالت يا رسول الله عبد الله بن جدعان رجل كريم شهم كان في الجاهلية يطعم الحجاج فهل ينفعه ذلك العمل قال لا يابنت الصديق لأنه لم يقول يوم من الدهر ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين. لم تكن هذه الأعمال مبنية بوجه صحيح، ما أراد بها وجه الله فلم يستفد منها في الآخرة شيء.

أيضا مما يدل على أهمية دراسة علم العقيدة أن عصمت المال والعرض والدم متوقف على سلامة المعتقد أما من كانت عقيدته فاسدة فان سلامة عرضه وماله ودمه مرتبط بأمر آخر، المؤمن حُرمته جاءت من سلامة عقيدته كما جاء في قصة أسامة بن زيد رضي الله عنه في صحيح مسلم لما لحق الرجل في تلك الغزوة وقد فعل الرجل بالمسلمين الأفاعيل فلحقه أسامة فلما أراد أن يدركه في رواية حال بينهما شجره قال هذا الرجل اشهد أن لا اله إلى الله وان محمد رسول الله فبادره أسامة وقتله رضي الله عنه اجتهاد منه فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذالك فغضب النبي صلى الله عليه وسلم واتى بأسامة وقال له أقتلته بعد أن قال لا إله إلى الله قال يا رسول الله ما قالها إلى خوف من السيف فعل وفعل ثم لما أدركته قال لا اله إلا الله يريد أن يعصم نفسه من السيف فقال النبي صلى الله عليه وسلم أقتلته بعد أن قال لا إله إلى الله قال يا رسول الله استغفر لي قال أقتلته بعد أن قال لا اله إلى الله وفي رواية أخرى هل شققت عن قلبه ما تصنع بلا اله إلى الله إذا جاءت تحاج عن صاحبها يوم القيامة فقال أسامة والله وددت أنني لم اسلم إلى هذه الساعة.

أيضا مما يبين أهمية وسلامة العقيدة إن الانحراف في شيء من مسائلها قد يأتي على جميع أعمال الإنسان فيبطلها مثال لو الإنسان كان مصلي صائم متصدق حاج باذل للخير لكنه يدعو غير الله عز وجل أو يذبح لغير الله عز وجل أو مكذب بنبوة نبي من الأنبياء الذي ثبتت نبوته في صريح القرآن النتيجة لا ينتفع بجميع هذه الأعمال فصحة الأعمال

متوقفة على سلامة عقيدته ولا يمكن للمجتمعات أن تنعم برغد العيش والاستقرار وبالتماسك وبالأمن والطمأنينة إلا بسلامة المعتقد في الحديث الآخر الثابت في الصحيحين من حديث أبي هريرة يقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) فالمجتمعات التي تربى أفرادها على الإيمان بالله حقيقة ليست بحاجة إلى سلطة تتابعها وجهات تراقبها في سلوكها لان المؤمن يحمل هذا الدستور في قلبه يراقب الله عز وجل لا يمكن أن يقع في هذه الجريمة وهو يؤمن بالله عز وجل حتى وان غاب عن عين القانون وعين النظام لا يمكن أن يعتدي على دم مسلم لأنه يعتقد أن دم المسلم حرام لا يمكن أن يعتدي على دم معاهد ليس بدم مسلم لأنه يعتقد أن هذا الدم حرام لا يمكن أن يعتدي على أموال الآخرين لأنه يعتقد أن هذا المال حرام ولا يقع بالجرائم بحق نفسه الربا والزنا وشرب الخمر لا يمكن يقع بها لماذا لأنه مؤمن بالله عز وجل ولكن إذا فسدة عقيدة الإنسان تكون رقابته متعلقة فقط بهذا النظام أو هذا القانون الذي يراقبه ولهذا متى ما تغيب عن هذا النظام وغابت عين الرقيب فعل ما يشاء.

المحاضرة الثانية

كثير ما نقرأ عن مصطلح أهل السنة والجماعة، هذا هو رأي أهل السنة والجماعة.. هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة هذا هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

أهل السنة والجماعة، مصطلح مكون من كلمتين:

السنة:

تطلق ويراد بها ما يؤثر عن النبي (ﷺ) من قول افعل أو تقرير أو صفة خلقيه أو خلقيه تطلق ويراد بها ما يقابل البدعة.

الجماعة:

لغة: العدد الكثير أو القوم المجتمعون.

اصطلاحاً: المراد به النبي (ﷺ) وأصحابه رضي الله عنهم ومن اقتفي أثرهم وسار على منهجهم إلى يوم الدين.

ليس بلازم أن يكون هذا الوصف متعلق بجماعة كثيرين. قد يكون هذا الوصف متعلقا بأفراد. أي انه إذا كان هذا الفرد ملتزم بمنهج النبي (ﷺ) مقتفي لأثار الصحابة رضوان الله عليهم وهو في بلد لا يماثله على هذا الوصف احد غيره يعتبر هو أهل السنة والجماعة.

ألقاب أهل السنة والجماعة.

اللقب الأول السلف.

السلف لغة: التقدم في الزمن. أي سلف الرجل آبائه وأجداده والذين تقدموا عليه في الزمن.

السلف اصطلاحاً: جملة من عاش في القرون الثلاثة المفضلة والدليل قول النبي (ﷺ) كما في صحيح البخاري (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) انتبه !!! هنا الرسول (ﷺ) جعل الخيرية المطلقة لأصحاب القرون الثالثة الأولى.

اللقب الثاني أهل الحديث.

أهل الحديث والمراد بهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته بل نعني بهم كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطناً وأتباعه باطناً وظاهرا وكذالك أهل القرآن انتهى كلام الشيخ ابن تيمية رحمه الله (.

ويقول الأمام الصابوني (إن أصحاب الحديث المتمسكون بالكتاب والسنة حفظ الله أحيائهم وحفظ أمواتهم)

أهل الحديث المقصود به: المتمسكين بحديث النبي (ﷺ) والمتمسكون بنصوص الوحيين.

اللقب الثالث الفرقة الناجية.

سمو بهذا الاسم لان النبي (ﷺ) انتبه !!!! وصفهم بالنجاة يوم القيامة.

كما في السنن من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي (ﷺ) قال افترقت اليهود على أحدى وسبعين فرقه وافترقت النصارى على أثنين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقه كلها في النار إلى واحده قيل من هي يا

رسول الله قيل من كان على مثل ما كنت عليه اليوم وأصحابي فوصفت بناجية لنجاتها من النار يوم القيامة كما وصفها النبي (ﷺ). وقال أهل العلم وصفت بناجية لنجاتها من الهلاك عكس الفرق الأخرى التي هلكت وضلت.

اللقب الرابع الطائفة المنصورة.

سميت بهذا الاسم لان النبي (ﷺ) وصفها بذالك كما في صحيح مسلم (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله)هذه الطائفة أهل السنة والجماعة السلف لا يزالون منصورين بإذن الله عز وجل سوأ كان هذا النصر حسياً أو معنوياً مصدقاً لقول النبي (ﷺ) (إن هذا الوصف لازم لهم إلى قيام الساعة).

خصائص أهل السنة والجماعة.

١. وحدة المصدر: أي أن المصدر واحد وليس بمتعدد أي أن مصدرهم الكتاب والسنة، وترى الفرق الأخرى لديهم مصادر متعددة فعندهم العقل مصدر أساسي والعقول غير منضبطة ولهذا تعددت مصادرهم بتعدد عقولهم ومن مصادرهم (الذوق- الحس- الرؤى) وأهل السنة مصدرهم واحد الكتاب والسنة لا يعدلون بهما شيء إذا جاء نص من القرآن وسنة، سلم الجميع له ومنهجهم في ذالك قال ابن العباس: أقول قال رسول الله (ﷺ) أقول قال الله وتقولون قال أبو بكر وعمر توشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء.

٢. منهجهم توقيفي: متوقف على ورود النص أي يدورون مع النص حيث دار لا يقابلون نص القرآن ونص الحديث بعقولهم وأقيستهم وأرائهم.

٣. تجنبهم الجدل والخصومات بالدين: وهم من ابعد الناس عن الجدل خاصة ما يسمى الجدل البيزنطي الذي لا ينتهي فيه صاحبه إلى نتيجة كما في قول الله تعالى (**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**) ولهذا ابتعدوا عن الجدل وكثرة الخصومات بما يتعلق بدين وأمور الاعتقاد، وقد قال عمر بن عبد العزيز وينقل أيضا عن الأمام مالك رحمة الله (أكل ما جاءنا رجل اجدل من رجل تركنا ما جاءنا به النبي (ﷺ) عن جبريل عن الله بجدل هؤلاء) ويقول الآخر (من أكثر الخصومة في الدين أكثر التنقل) بمعنى انه كل يوم على منهج وكل يوم على مذهب.

٤. الاتفاق في مسائل الاعتقاد: وهذه خاصية مرتبطة بالخصائص السابقة لما كان مصدرهم واحد ومنهجهم توقيفي وأنهم من أكثر الناس اتفاق واجتماعاً في مسائل الاعتقاد.

٥. الوسطية: من أعظم ما تميز به أهل السنة والجماعة أنهم وسط في فرق الأمة وفي طوائف الأمة كما أن هذه الأمة وسط في الأمم وكذالك جعلناكم امة وسطا. والوسطية هنا تفي الخيار العدل فليس عندهم إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا جفاء منهجهم وسط لا يغلبون جانب على جانب لا يأخذون بجانب من النصوص ويتركون آخر.

أمثله على الوسطية:

المثال الأول.

مسألة الأسماء والصفات انقسم فيها إلى ثلاث أقسام أي طرفين ووسط.

هناك طائفة عطلة بعض أسماء الله وصفاته وهم (المعطلة).

وهناك طائفة اثبتوا أسماء الله وصفاته ولكن شبهوها بأسماء المخلوق وصفاته وهم (المشبهة).

المعطلة / أرادوا تنزيه الله عز وجل لكنهم غلوا في هذا التنزيه إلى أن أفضى بهم إلى التعطيل أي إلى أن عطلوا أسماء الله وصفاته فزعموا أن الله (لا يوصف بسمع – ولا يوصف بالبصر _ ولا يوصف بالرحمة...إلى آخره) واستدلوا بالنصوص التي بها تنزيه الله عز وجل.

المشبهة / اثبتوا أسماء الله وصفاته ولكنهم غلوا في ذالك وقالوا (لله بصر كبصر المخلوق ولله رحمة كرحمة المخلوق إلى آخره..)، واستدلوا بنصوص التي فيها إثبات أهل السنة والجماعة توسطوا بين هؤلاء و هؤلاء اثبتوا الأسماء والصفات خلافاً لمذهب المعطلة ونفوا عن الله عز وجل مشابهة المخلوقات خلاف المشبهة فكان وسط بين التعطيل والتبديل ولهذا جمعوا بين النصوص التي فيها تنزيه واستدل بها المعطلة والنصوص التي فيها الإثبات واستدل فيها المشبهة فوفقوا للمنهج المتوسط ولهذا ردوا على المعطلة بنصوص المشبهة وردوا على المشبهة بنصوص المعطلة وبهذا ظهرت وسطيتهم وبرزت خاصيتهم.

المثال الثاني.

مسألة حكم مرتكب الكبيرة اختلفت الاعتقادات على مسألة مرتكب الكبيرة.

عندنا الخوارج والمعتزلة يمثلون طرفاً هؤلاء زعموا أن مرتكب الكبيرة كافر أو خارج عن دائرة الإسلام. الخوارج / قالوا مرتكب الكبيرة خارج عن دائرة الإسلام وحكموا عليه بالكفر أي كفروه. المعتزلة / قالوا عن مرتكب الكبيرة خارج عن دائرة الإسلام لكنه لم يدخل الكفر أي لم يكفروه وانه في منزله بين منزلتين استدل الخوارج والمعتزلة بنصوص الوعيد قول الله تعالى (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ)... الآية و قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا) وقابلهم على النقيض تماماً المرجئة الذين زعموا أن لا يضر مع الإيمان ذنب وان إيمان افسق الناس كأيمان اتقى الناس استدلوا بنصوص الوعد قوله تعالى (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء) وحديث (وان زنا وان سرق..) وهنا أهل السنة والجماعة وقفوا بالوسط فلم يغلوا غلو الخوارج والمعتزلة ولم يجفوا جفاء المرجئة فقالوا مرتكب الكبيرة مؤمن لكنه ناقص الإيمان خلاف الخوارج والمعتزلة الذين كفروه وخلاف المرجئة الذين لم ينقصون من إيمانه شيء أدلة أهل السنة والجماعة جمعوا بين نصوص هذه وتلك لذا ظهرت وسطيتهم في هذه المسألة.

المثال الثالث.

مسألة القضاء والقدر.

مسألة عقدية وجرى الاختلاف فيها بوقت مبكر بان ظهرت بوادر الضلالة في هذه المسألة زمن أواخر الصحابة زمن ابن عمر وجابر رضي الله عنهم كما في صحيح مسلم لما ظهر معبد الجهني وأتباعه وزعموا بنفي القدر هذه المسألة اختلفت فيها الأمة إلى رأيين ووسط.

فذهبت القدرية / ويمثلهم المعتزلة إلى قول إن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه. بمعنى إن الله تعالى لم يخلق هذا العبد ولم يشاء هذا الفعل من العبد بل العبد شاءه استقلالً وخلقه لنفسه استقلالً. مثال إذا صلى هذا فأنه خلق لنفسه الصلاة وإذا شرب الخمر فلأنه خلق هذا الفعل لنفسه وشاءه استقلالاً دون مشيئة الله عز وجل واستدلوا بالنصوص المثبتة لمشيئة العبد (لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ).

وذهبت الجبرية / ويمثلهم الجهمية وشاركهم فرق أخرى هذا المذهب الفاسد.الجبرية نفوا مشيئة العبد ونفوا فعل العبد وقالوا العبد مجبور على فعل نفسه ليس له اختيار أبدا بل الله عز وجل هو الذي خلق هذا الفعل وهو الذي شاءه ولهذا اجبره على هذا العمل ومثلوا العبد بريشه في مهب الريح وقالوا إذا صلى العبد فأنه مجبور على هذا وإذا شرب الخمر فأنه مجبور على هذا أيضا واستدلوا بالأدلة المثبتة بمشيئة الله عز وجل قوله عز وجل (وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)، (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى) (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) وهنا وفق الله أهل السنة الوسط لتظهر هذه

الخاصـية واضـحة جلية.فأهل السـنة والجماعة / اثبتوا للعبد مشـيئةً واختياراً خلاف مذهب الجبرية لان الجبرية نفوا عن العبد اختيار المشـيئة وقال أهل السـنة العبد يفعل بمشـيئته واختياره لكن هذه المشـيئة ولاختيار لا تخرج عن مشـيئة الله سبحانه وتعالى ووفقوا بالجمع بين الأدلة التي تثبت مشيئة الله وتثبت مشيئة العبد الأدلة:

لمن شاء منكم أن يستقيم = إثبات مشيئة العبد.

وما تشاءون إلا أن يشاء الله = إثبات مشيئة الله تعالى.

فكان منهجهم وسطاً بين الطرفين لمسألة القضاء والقدر.

المثال الرابع.

مسألة وسطية أهل السنة والجماعة.

وسـطيتهم في أصـحاب رسـول الله (ﷺ) ابتلوا بطائفتين. طائفة غلت في بعضـهم فرفعتهم فوق منزلتهم وطائفة جفت في حق بعضـهم فأخرجتهم عن الحق الذي انزله الله عز وجل فيه وهناك طائفة هم الرافضـة غلو في بعضـهم كما هي الحال مع آل البيت ورفعوهم فوق منزلتهم ودعوا فيهم العصـمة بل وذهب الغلاة منهم إلى القول بإلوهية بعضـهم تعالى الله عن ذالك وقابلهم طائفة أخرى وهم الخوارج فناصـبوا أصـحاب النبي (ﷺ) العداء وفسـقوهم بل كفرو بعضـهم وأخرجوهم عن دائرة الإسلام وجعلوا سبهم ديناً يدينون الله عز وجل به أهل السنة والجماعة توسطوا بين هؤلاء و هؤلاء. فعرفوا لأصحاب النبي (ﷺ) قدرهم ومكانتهم ومنزلتهم ورءوا أنهم أفضل هذه الأمة وأنهم ابر هذه الأمة قلوباً وأكثرها علماً واقلها تكلفاً ورءوا أنهم قوم اختارهم الله عز وجل واصـطفاهم لصـحبة نبيه (ﷺ) وان الله رضـي عنهم جملة وأثنى عليهم جملة وهذا خلاف لمذهب الخوارج لكنهم مع ذالك لم يرفعوهم فوق قدرهم ولم ينزلوهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله عز وجل إياها فلم يدعوا العصـمة لأحد منهم ولم يدعوا في احد منهم جانب من الرسـالة أو من الإلوهية قالوا هم بشـر يجري عليهم ما يجري على البشـر يصـيبون ويخطئون والخطأ واقع منهم عقل وشـرعاً وواقعاً ولكن الخطأ الذي وقع من بعضـهم مغفوراً لهم في بحر حسناتهم الأصل في ذالك قول النبي صلى الله عليه وسلم (في حق حاطب ابن أبي بلتعة رضي الله عنه كما في صحيح البخاري لما قال عمر دعني اضرب عنقه فانه نافق قال لا يا عمر انه شـهد بدر ولعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) فالحسنات التي قدموها تتلاشى معها تلك الأخطاء التي وقعت من بعضهم فأهل السنة والجماعة وسط في أصـحاب النبي (ﷺ) بين الخوارج الذين جفوا في حق أصـحابه رضـي الله عنهم وبين الرافضـة الذين اغلوا في بعضهم مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة في باب الاعتقاد.

مصادر التلقي عند المسلمين كثيرة منها الكتاب والسنة والإجماع والقياس والعقل والاجتهاد ومنهم من يدخل قول الصحابي والمصـالح المرسـلة إلى آخره. هذه مصـادر التلقي على وجه العموم فهل مصـادر التلقي في باب الاعتقاد عند أهل السـنة والجماعة هي هذه المصادر الجواب (لا). مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة هي الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة السليمة فلا قياس عندهم ولا مجال للاجتهاد قد يقول قائل أنت لان قلت لنا الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة مصادر تلقي عند أهل السنة وذكرت إن من خصائص منهج أهل السنة..

وحدة المصدر..وان.. منهجهم وقفي.. يعني وحدة المصدر عندهم الكتاب والسنة والآن تقول الإجماع والعقل والفطرة كيف

هذا..؟

ج/ لا منافاة بين القولين ولا تعارض بين الرأيين وذالك أن مصـــادر التلقي عند أهل الســـنة في باب الاعتقاد متوقف على مصدرين اثنين لا ثالث لهما كما سبق الكتاب والسنة لا يعدلون بهاذين المصدرين شيء. لا رأي ولا اجتهاد ولا قياس إلى آخره.

س/ يقول قائل كيف أنت ذكرت الإجماع والعقل والفطرة؟

ج/ يقال هذه مصادر تلقي عند أهل السنة لا ليست هي الأصل أي الأصل في أي مسألة عقدية هي الكتاب والسنة إذا ورد الكتاب والســـنة أخذنا بذالك إذا لم يرد دليل لا في الكتاب ولا في الســـنة لم نأخذ بذالك وتركناه جانباً. وعندما يأخذون أهل السنة والجماعة بالإجماع والعقل للاعتضاد لا للاعتماد بمعنى انه لو لم يرد في المسألة دليل من القرآن أو من السنة ما أخذوا به ولهذا يقال ما فائدة الإجماع والعقل والفطرة نقول لهما فائدتان:

١. للتأكيد وزيادة الحجة فإذا ثبتت المســـألة عندنا بالكتاب والســـنة و بالإضـــافة إلى الإجماع أو العقل أو الفطرة ازدادت المسألة قوة.

٢. يتبع في المحاضرة التالية (المحاضرة الرابعة).

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم.. يطيب لنا أن نلتقي في اللقاء الرابع من لقاءات مادة التوحيد المقرر على المستوى الأول بكلية الاقتصاد والعلوم الإدارية نقول وبالله التوفيق تكلمنا في اللقاء السابق على مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة في باب الاعتقاد وقلنا إن مصادر التلقي في باب الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة و طرحنا استشكالاً ربما يستشكله البعض وهو أنا لقائلٍ أن يقول إذا كان مصادر التلقي أو أن سبق أن ذكر خصائص أهل السنة والجماعة أن وحدة المصدر من خصائصهم وان منهجهم توقيفي أي بمعنى متوقف على ورود النص من الكتاب والسنة فكيف أدخلت الإجماع والعقل والفطرة،، تكلمنا على جزء من هذه المسألة في اللقاء السابق في الدرس السابق وقلنا إن فائدة الإجماع والعقل والفطرة مع الكتاب والسنة، نعم منهج أهل السنة والجماعة منهج توقيفي متوقف على ورود نصوص الكتاب والسنة فقط لا يأخذون بالمسألة إلا إذا ثبت نص من الكتاب أو من السنة إذن ما فائدة الإجماع والعقل والفطرة؟؟ فائدة الإجماع والعقل والفطرة لها فائدتان الفائدة الأولى لزيادة التأكيد في قيام الحجة وذلك إن المسألة إذا ثبتت من أكثر من طريق ومن أكثر من دليل كان هذا زيادة في التأكيد ولعلي ضربت مثلا في اللقاء السابق لو افترضنا أن هناك جناية وقعت من شخص فجاء شاهد عدل وشهد إن فلان هو الذي وقعت منه هذه الجناية خلاص ثبتت هذه الجناية على هذا الشخص بشهادة هذين العدلين لكن لو جاء مع الشهادة مثلا تصوير فوتوغرافي هذا زيادة في قيام الحجة زيادة في تأكيد أن الذي فعل هذه الجناية هو فلان لو وجدنا مثلا البطاقة الشخصية لهذا الرجل المعتدي في مكان الجريمة هذه زيادة حجة وزيادة شاهد وزيادة طمأنينة إن الذي قام بهذه الجريمة هو فلان لو مثلا افترضنا أننا وجدنا أداة الجريمة وعليها بصمات الشخص هذا أيضا زيادة لكن هل الجريمة ثبوتها على فلان متوقف على ورود هذا التصوير أو هذه البطاقة أو هذه البصمات؟ لا هي ثبتت بشهادة عدلين كذالك عندنا هذه المسألة العقدية ثبتت بالكتاب والسنة لما جاء الإجماع وجاء العقل وجاءت الفطرة زادت المسألة هذا فيه زيادة حجة وزيادة بيان وطمأنينة هذه هي الفائدة الأولى.

الفائدة الثانية: إننا نحتاج إلى الإجماع أحيانا لبيان الدلالة وليس لثبوت الدليل، عندنا قد نستدل على هذه المسألة بهذا الدليل بهذه الآية ماشي !! هذا ليس بمحل خلاف أحيانا بيننا وبين الخصم بين أهل السنة وبين خصومهم اضرب لكم مثال: قول الله عز وجل (**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**) هذه آية دليل محل اتفاق بين أهل السنة وبين خصومهم من المعطلة لكن دلالة هذه الآية على ثبوت اليدين لله تعالى عز وجل هنا نحتاج إلى الإجماع نقول اجمع أهل العلم على أن هذه الآية دالة على إثبات صفة اليدين فنحتاج إلى الإجماع مع نصوص الكتاب والسنة أحيانا لبيان الدلالة لإيضاح الدلالة ولأنه ليس كل إنسان أن يفهم النص بنفسه وما انتهى إليه عقله وهذا هو سبب ضلال كثيرا من الناس انه يأخذ نصوص الكتاب والسنة ويفهمها بقياسه وباجتهاده لا نصوص الكتاب والسنة مضبوطة بفهم السلف مضبوطة بفهم الأئمة والعلماء فنحتاج هنا إلى الإجماع نقول: اجمع العلماء على أن هذا الحديث أو هذه الآية دالة على هذه المسألة إذن

مصادر التلقي عند أهل السنة والجماعة كم؟

خمسة الكتاب والسنة، الإجماع، العقل، الفطرة السليمة النقطة التي بعد هذا التسليم لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم

يجب على المؤمن أن يسلم لنصوص الوحيين ومن لوازم سلامة عقيدة المسلم الاستسلام لله ورسوله بل أن من مقتضى الشهادتين شهادة أن لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله، التسليم لنصوص الوحي فقول المؤمن لا اله إلا الله معناه لا معبود بحق إلا الله فإذا كان هذا هو المعبود الحق فيجب عليك أن تستسلم لقوله فإذا امتنعت عن الاستسلام لقوله فهنالك خلل في شهادتك إذا كنت تعتقد يقينا أن لا معبود بحق إلا الله فيجب عليك أن تستسلم استسلاماً مطلقا لهذا المعبود دون أدنى تردد وكذلك إذا قال المؤمن واشهد أن محمدا رسول الله ما معنى واشهد أن محمدا رسول الله؟ طاعته فيما أمر وتصديقه فيما اخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر فمن مقتضى شهادة أن محمد ا رسول الله الاستسلام التام والطاعة المطلقة غير المقيدة لقوله عليه الصلاة والسلام وما الدليل على ذالك؟ الأدلة كثيرة جدا منها انتبه !! قول الله عز وجل (**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**) يعني ليس للإنسان أي اختيار إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ليس لك اختيار تأخذ أو لا تأخذ تسلم أو لا تسلم، لا، الاختيار قبل ورود النص لكن لما ورد النص انتهى الخيار انتهت الخيارات أمامك لم يبقى أمامك إلا طريق واحد تسلكه الخيارات قبل ورود النص ممكن تسلك هذا الطريق وممكن أن تسلك هذا الطريق ممكن تسلك هذا الطريق ويقول الله عز وجل (**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**) لاحظ هذه التأكيدات في قضية الاستسلام لنصوص الوحيين فلا وربك اقسم الله عز وجل بأعظم مقسم به في القرآن اقسم بنفسه الشريفة سبحانه وتعالى فلا وربك لا يؤمنون نفي عنهم الإيمان كلية حتى يحكموك فيما شجر بينهم يكفي إننا نحكم الكتاب والسنة فيما شجر بيننا؟.

لا، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت لا يكفي التسليم الظاهر التسليم الخارجي بل لا بد من التسليم الباطني تسليم القلب يكفي هذا؟ لا، ويسلموا تسليماً تستسلم استسلاماً مطلق ما فيه خيار لنفسك ما فيه اجتهاد ما فيه قياس وأيضا يقول سبحانه (**أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**) لاحظ كيف كرر لفظة وأطيعوا مع الله ومع الرسول أما أولي الأمر قال: وأولي الأمر منكم، والسبب، أن طاعة الله وطاعة الرسول تجب استقلالاً. يطاع الله استقلالاً ويطاع الرسول استقلالاً أما طاعة أولي الأمر فهي متبعه لطاعة الله وطاعة الرسول أما في السنة فالأدلة كثيرة جدا لا حصر لها يقول النبي صلى الله عليه وسلم (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ومن أبى دخل النار) وفي الحديث الآخر حديث العرباض في السنن كما عند أبي داود وغيره فعليكم بسنتي لما ذكر ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا نعم (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ) في الحديث الآخر أيضا الحديث الصحيح كما عند أبي داود وغيره (إني تارك فيكم ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً كتاب الله وسنتي) وعد من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق إننا إذا تمسكنا بهذين المصدرين أننا لن نضل أبدا مهما كثرت الفتن مهما تلاطمت الفتن مهما اشتبهت الأمور فالمخرج من ذالك إني تارك فيكم ما أن تمسكتم بهما فلن تضلوا أبدا. حديث الآخر (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزغ عنها بعدي إلا هالك) ولهذا طبق الصحابة رضي الله عنهم هذه النصوص عمليا في حياتهم ولعلي اضرب لكم مثالا على ذالك ابن عمر رضي الله عنه قال النبي (ﷺ) يوما لأصحابه لو تركتم هذا الباب وأشار لأحد أبواب المسجد، تركتم هذا الباب للنساء أي لتخرج معه النساء ولم يحصل منكم مضايقه

لهن، النبي (ﷺ) ماذا قصد من هذا التوجيه؟! قصد انه إذا صلى معه في المسجد نساء فيحسن والأولى أن تتركوا هذا الباب لهن ماذا صنع ابن عمر رضي الله عنه لشدة تمسكه بقول النبي صلى الله عليه وسلم يقول سالم فما دخل وما خرج معه ابن عمر حتى توفي. خلاص النبي صلى الله عليه وسلم قال اتركوه صلى معنا نساء أو لم يصلِن هكذا كان تمسكهم رضي الله عنهم بنصوص الوحيين هل يمكن لمثل هؤلاء أن يعارضوا قول النبي صلى الله عليه وسلم بعقولهم أو باجتهاداتهم أو بآرائهم أو بأهوائهم؟؟!! كلا ولا يمكن هذا ولا يعقل..

عبد الله بن عمرو لما أرشده النبي صلى الله عليه وسلم إلى صيام يوم وإفطار يوم لأنه كان يصوم الدهر فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم وأرشده إلى صيام ثلاثة أيام من كل شهر قال أطيق أكثر من ذالك فأرشده إلى صيام الاثنين والخميس فقال أطيق أكثر من ذالك قال صم يوما وافطر يوما قال أطيق أكثر من ذالك قال لا أفضل من ذالك لما طالت به الحياة وتقدم به العمر وثقل عليه الصوم كما يثقل على مثله ممن تقدم بهم العمر قال يا ليتني قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم فكان يسرد الصوم أياماً ويفطر مثلها كان بالإمكان انه يترك الصوم جملة وتفصيلا لأنها نافلة والمتنفل أمير نفسه ليس ملزم بهذا الأمر لكنه قال لا أحب أن اترك عملا فارقت النبي صلى الله عليه وسلم عليه والأمثلة كثيرة على مدى تسليم هؤلاء واستسلامهم لنصوص الوحيين في الكتاب والسنة الأمر الثاني المتعلق بالتسليم لله عز وجل ولرسوله نفي التعارف بين العقل والنقل وبيان منزلة العقل في الإسلام وعدم استقلال العقل بمعرفة أصول الدين أولاً نقول ما المراد بدلالة العقل؟ وما المراد بدلالة النقل؟؟ دلالة النقل المقصود بها دلالة الوحيين الكتاب والسنة فإذا قيل النقل فالمقصود بالنقل الكتاب والسنة طيب العقل، العقل المقصود به الدلالة القائمة على النظر والاستدلال العقلي المجرد هل هناك تعارف بين النقل والعقل؟

قبل الدخول في هذه المسألة لابد أن نبين منزلة العقل في الإسلام، في الشرع بالطبع العقل له منزله في الإسلام عالية في الشرع، الإسلام لم يهمل جانب العقل، الإسلام رفع من شأن العقل وأكرمه أيما تكريم يكفيه في ذالك انه جعله مناط التكليف،، ما معنى مناط التكليف؟ انتبه!! مناط التكليف بمعنى أن التكليف يدور مع العقل حيث وجد فإذا وجد العقل وجد التكليف الذي هو الغاية لخلق الخلق، وما خلقت الجن والإنس إلا ماذا؟؟ إلا ليعبدون هذا التكليف متوقف على وجود العقل ولهذا جاء في الحديث رفع القلم عن ثلاثة المجنون حتى يفيق والصبي حتى يبلغ والنائم حتى يستيقظ القاسم المشترك بين هؤلاء ما هو القاسم المشترك؟؟ القاسم المشترك زوال العقل فهذا من أعظم ما بين ويوضح مكانة العقل في الإسلام إن الله عز وجل جعل العقل مناط التكليف الأمر الثاني الله عز وجل خاطب العقل في القرآن وفي النصوص كثيرة إن في ذالك لآيات لأولي الألباب أفلا تعقلون، أفلا يعقلون، لو كنا نسمع أو نعقل، فذكر الله عز وجل للعقل ومخاطبة العقل دليل على تكريم العقل الأمر الثالث وجود مجموعة من الأدلة العقلية في الكتاب والسنة هذا يدل على تكريم الله عز وجل للعقل وعلى بيان مدى أهمية العقل ومنزلة العقل خذ على سبيل المثال قوله سبحانه وتعالى (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) دليل عقلي على إثبات الربوبية لله عز وجل وان الخالق واحد الأدلة على إثبات اليوم الآخر لا حصر لها في القرآن(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ {٧٨} قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ {٧٩} الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ

{٨٠} أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّـــمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) كل هذه هي أدلة عقلية على إثبات اليوم الآخر، إثبات المِعاد القرآن مليء بالأدلة العقلية هذه الأدلة دليل على منزلة العقل في الإسلام وان الله عز وجل رفع من شأن العقل مما أيضا يبين منزلة ومكانة العقل إن الله حرم كل ما من شأنه أن يؤثر على هذه الحاسة أو يقلل من وظيفتها فحرم شرب الخمر لماذا؟ حفاظاً على هذه الجوهرة العظيمة التي هي العقل، من صور تكريم الله عز وجل للعقل أن جعل الدية كاملة فيمن اعتدى على عقل إنسان حتى أذهبه، فجعل العقل في منزلة الإنسان كاملا وصور تكريم الله عز وجل للعقل كثيرة ولا حصر لها وليست محل خلاف وليست محل نظر، إن العقل له مكانته ومنزلته في الشريعة الإسلامية لكن هل له المنزلة المطلقة والحرية المطلقة؟؟ الجواب لا العقل حاسة كسائر الحواس، الله أعطاك بصر هذه الحاسة لها قوة وقدرة محدودة ليس لها القوة المطلقة أن تستطيع أن ترى ببصرك على بعد أمتار محدودة وترى ضوء محدود لكن لو رُمت وحاولت أن ترى ببصرك المجرد عين الشمس في رابعة النهار لاحترقت عندك أعصاب العين السبب أن أشعة الشمس نور الشمس أقوى من قدرة حاسة البصر، لو حاولت أن ترى ببصرك على بعد كيلوات ما استطعت لان هذا فوق القدرة التي جعلها الله عز وجل لهذه الحاسة، أرى الوقت شارف على النهاية أقف هنا ولعلنا نكمل إن شاء الله في اللقاء القادم.

المحاضرة الخامسة

توقفنا بالأمس وفي اللقاء السابق على موضوع تعارض العقل والنقل وبينا المراد بالعقل والمراد بالنقل هنا ثم تكلمنا عن منزلة العقل في الإسلام وان الله عز وجل أكرمها أيما إكرام وذكرنا من صور تكريم الله عز وجل لهذه الحاسة المهمة لدى الإنسان انه سبحانه وتعالى جعلها مناط التكليف وأيضا خاطب العقل في مواضع متعددة من القرآن وذكر الأدلة العقلية على مسائل متعددة إضافة إلى انه حرم كل ما من شأنه التأثير على هذه الحاسة ولعلنا في هذا اللقاء نستعرض بيان إن العقل حاسة لها حدودها وطاقتها وقد تكلمنا على شيء من هذه المسألة في اللقاء السابق وقلنا إن الله لما وهب الإنسان العقل جعل له حدودا كما انه لما وهب له السمع والبصر جعل لهما حدودا فالإنسان يمكن أن يرى ببصره المسافة القريبة التي هي في حدود ونطاق ما خُلق لها هذا العضو لكن لا يمكن ببصره أن يرى مسافة تبعد عنه بعدة كيلوات لأنها فوق الطاقة التي خلق لأجلها هذا العضو كذالك السمع كذالك سائر الحواس نقول أيضا العقل له حدوده فإذا استخدم فيما خلق له عاد على صاحبه بالنفع وصار سببا للهداية فبالعقل يمكن أن يدرك الإنسان وحدانية الله عز وجل في ربوبيته ويمكن بالعقل أن يدرك وحدانية الله عز وجل في إلوهيته ويمكن بالعقل أن يدرك أن الله مستحق للكمال المطلق وله الصفات العلى يمكن للعقل أن يدرك إثبات اليوم الآخر وإعادة الناس مرة أخرى بعد موتهم لكن إذا أراد الإنسان أن يقحم عقله فيما وراء ذالك فيما لا طاقة للعقل فيه عاد عليه هذا العقل بالوبال وصار سببا للضلال كما هي الحلال عند بعض أهل البدع الذين حملوا عقولهم فوق ما تحتمل وجعلوا للعقل الحرية المطلقة ووزنوا به الأمور كلها وعرفوا عليه جميع المعارف فعند ذالك صار العقل بالنسبة لهم سببا للضلال والانحراف لان العقل لا يمكن أن يُحمل فوق ما يطيق ولعلي اضرب لكم مثال انتبه يا أخي !! هذه اليد خلقها الله عزّ وجلّ لك يمكن أن تحمل بها ما هو في طاقتها وقدرتها فيمكن أن تحمل بها كتابا يمكن أن تحمل بها كرسيا لان هذه الأمور في حدود الطاقة والقوة والقدرة التي خلقت لأجلها لكن لو رام الإنسان وحاول أن يحمل بيده هذه السيارة أو هذا البيت لتلفت يده وعاد بالخسران كذالك العقل سواء بسواء العقل له حدود وله طاقة وله قوة وله قدرة فإذا أردت أن تحمل هذا العقل ما لا يحتمل تلف عقلك وعاد عليك بالوبال والخسران فأولئك الذين جعلوا العقل هو الميزان في كل شيء حتى عرضوا على العقل الأمور الغيبية التي لا مجال للعقل فيها انتهى المطاف بهم إلى تكذيب الله وتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم فهناك طائفة كذبت بعذاب القبر ونعيمه بحجة أن هذا لا يعقل ولا يمكن أن يدركه العقل كيف تكون هذه الحفرة المحدودة روضه من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار كيف يمد لإنسان في هذا القبر ونحن نرى أن الأرض لم تتغير فقاسوا أمور الآخرة بعقولهم القاصرة ولهذا كذبوا ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر من الناس من ذهب إلى ابعد من هذا عرض على عقله كيف تعاد الأجسام هذه بعد ما بليت وهرمت وتفتت وتحللت وصارت ترابا كيف تعاد مرة أخرى؟ و وازن هذا الأمر بعقله فكذب باليوم الآخر بناءا على عقله الفاسد والسبب في انحرافه وضلاله وتكذيب الله وتكذيب رسوله في هذه المسألة انه حمل العقل فوق ما يطيق وهكذا في سائر الأمور الشرعية التي لا مجال للعقل فيها إذا جاء الإنسان و أراد أن يقيسها بعقله ضل وانحرف والسبب انه حمل العقل فوق ما يطيق نعود إلى أصل المسألة إذن العقل حاسة لها قوتها لها قدرتها ينبغي أن تستخدم هذه الحاسة، أن يستخدم هذا العضو فيما خلق له لا تحمله فوق طاقته نعود إلى أصل المسألة والتي هي مدار رحى هذا العنصر الأساس ألا وهو هل يمكن أن يتعارض النقل مع العقل؟؟ النقل الذي هو الوحي كما سبق أن عرفنا الوحي المنزل من الله عزّ وجلّ

سواء كان آية أو حديثاً هل يمكن أن يتعارض مع العقل؟؟ الجواب بعبارة مختصرة وبقاعدة كلية نقول انتبه !! لا يمكن للنقل الصحيح أن يتعارض مع العقل الصريح هذه هي قاعدة كلية قاعدة مضطردة قاعدة لا يمكن أن تنخرق لا يمكن للنقل الصحيح لاحظ هناك قيود ليس بإطلاق إن النقل لا يتعارض مع العقل يمكن أن يقع تعارض لكن نحن نقول لا يمكن للنقل الصحيح أن يتعارض مع العقل الصريح هذه القاعدة نستخلص منها ثلاثة شروط لنفي التعارض بين العقل والنقل...

الشرط الأول: أن يكون النقل صحيحا إذا لم يكن النقل آية فكان حديثاً فنشترط فيه الصحة لكن إذا كان النقل ضعيفا أو موضوعا مكذوبا على النبي صلى الله عليه وسلم فيمكن أن يتعارض النقل مع العقل لأننا نقول لا يمكن أن يتعارض النقل الصحيح إذن الشرط الأول صحة النقل واضح؟؟.

الشرط الثاني: صحة العقل لا يمكن أن يتعارض صحيح المنقول مع صريح المعقول.

الشرط الثالث: أن يكون الدليل العقلي صحيحا، فإذا كان الدليل العقلي فاسدا أو باطلا يمكن أن يقع التعارض يمكن أن يتعارض هذا الدليل العقلي أو الذي يزعم صاحبه أنه دليل يمكن أن يتعارض مع النقل،، وسأضرب أمثلة إذا جئنا في تعارض العقل مع النقل وقوع التعارض بين العقل والنقل،، المهم أن تعرف الآن الشروط التي يجب توافرها في نفي التعارض بين العقل والنقل إذن الشرط الأول صحة النقل الشرط الثاني صحة الدليل العقلي أن لا يكون أوهام وخيالات نسجها الإنسان من بنات فكره من عقله وقال هذه دليل عقلي لا كما هي الحال عند كثير من أهل البدع الذين عارضوا النصوص الشرعية عارضوها في واقع الأمر بكلامٍ نسجه خيالهم وقعدته عقولهم لم يوافقهم عليه سائر العقلاء وجعلوا هذا قواعد عقلية لا تقبل النقاش الشرط الثالث صحة الدلالة، صحة دلالة الدليل النقلي وصحة دلالة الدليل العقلي يعني قد يكون عندنا الدليل النقلي صحيح والدليل العقلي صحيح وصريح لكن الدلالة باطلة فيقع التعارض إذن إذا وقع التعارض هذه شروط عدم التعارض إذا وقع التعارض فلا يخلو الأمر من ثلاث حالات هي عكس الحالات السابقة ضد الحالات السابقة تماماً،، إذا وقع التعارض بين الدليل العقلي والدليل النقلي فانظر فأما أن يكون الدليل النقلي غير صحيح، وإما أن يكون الدليل النقلي غير صحيح مثال ذلك ما يورده بعض أهل البدع حيث زعموا، قالوا حديث إن الله ينزل عشية عرفة على جمل فيعانق الركبان ويصافح المشاة وهذا يتعارض مع العقل، قلنا لهم صحيح هذا يتعرض صراحة مع العقل لكن هذا الدليل النقلي ليس بدليل بواقع الأمر لأنه حديث مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم فلا يصح أن نأتي بهذا الحديث المكذوب ونعارض به العقل ونقول النقل يتعارض مع العقل، نحن اشترطنا الشرط الأول صحة النقل هنا أنخرم الشرط الأول فالحديث باطل فيمكن أن يقع التعارض. الشرط الثاني صحة العقل فإذا وقع التعارض فربما يكون الدليل العقلي غير صحيح مثال ذلك، الأمثلة على هذا كثيرة جدا جل الأدلة العقلية أو التي يسميها أهل البدع أدله عقليه وبراهين يقينية وعارضوا بها نصوص الكتاب والسنة ما هي إلا أدلة فاسدة واضرب مثال واحد قول الله عزّ وجلّ (**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**)هذا النص فيه إثبات صفة اليدين لله عزّ وجلّ عارضه أهل البدع بكلامٍ زعموا انه دليل عقلي وبرهان يقيني قالوا إثبات الصفات يستلزم التشبيه أو إثبات الصفات يستلزم التجسيم قالوا إذن هذا الدليل النقلي يتعارض مع هذا الدليل العقلي قلنا لهم الدليل النقلي صحيح لا غبار عليه لكن الدليل العقلي أو الذي زعمتم أنه دليل عقلي ليس

بدليل لأنه دليل فاسد ولا نسلم لكم، إثبات الصفات يستلزم التشبيه أو إثبات الصفات يستلزم التجسيم.
الأمر الثالث إذا وقع التعارض فربما تكون الدلالة غير صحيحة يعني يكون الدليل النقلي صحيح والدليل العقلي صحيح لكن الدلالة أحيانا تكون فاسدة باطلة،، مثال ذلك الحديث الثابت في الصحيح حديث قدسي ابن آدم مرضت فلم تعدني أبن آدم جعت فلم تطعمني قال لنا بعض أهل البدع هذا الحديث يتعارض مع الدليل العقلي الصريح إن الله عزّ وجلّ منزه عن النقائص والعيوب أي لا يكمن أن يعتريه مرض ولا جوعٍ قلنا الكلام صحيح الدليل النقلي صحيح والدليل العقلي الذي أوردتموه صحيح الله عزّ وجلّ منزه عن كل نقص وعيب والمرض والجوع عيبان لا يمكن أن يوصف الله سبحانه وتعالى بهما إذن كيف وقع التعارض وقع التعارض هنا بسبب فهم الحديث فهم النص، دلالة النص فالنص لا يدل على إثبات الجوع أو إثبات المرض لله عزّ وجلّ لان تكملة النص، أول النص وآخر النص يبن المعنى الصحيح الله عزّ وجلّ قال في آخر الحديث لما قال له كيف أعودك وأنت رب العالمين كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما لو عدته لوجدتني عنده،، أما لو أطعمته لوجدت ذالك عندي ما قال له شبعت ثبت أن الجوع والمرض هنا للعبد وليس لله عزّ وجلّ فالإشكال وقع عند هؤلاء بسبب عدم فهم الدلالة الفهم الصحيح إذن نقول إذا وقع التعارض أما أن يكون الدليل النقلي غير صحيح أو الدليل العقلي غير صحيح، أو الدلالة غير صحيحة لكن لو نظر الإنسان في هذه الأمور الثلاثة و وجدَ أن الدليل النقلي صحيح والدليل العقلي صحيح والدلالة صحيحة ومع ذلك لا يزال التعارض قائم بمعنى إذا وجد ما يوهم التعارض بين الدليل النقلي والدليل العقلي نقول مباشرة قدم الدليل النقلي على الدليل العقلي والسبب في ذالك إن النقل ثابت والعقل متغيرٌ ،، العقول متغيره ليست بثابتة. الناس ليسوا على درجة واحدة من العقول بل الإنسان يرى رأيا بعقله في هذا الوقت ثم يرى خلافه في الوقت الآخر يتبين له خطأ ما ذهب إليه سابقا خطأ عقله فيما ذهب إليه سابقا الأمر الثاني السبب في تقديمنا للنقل على العقل فيما إذا ما وجدت ما يوهم التعارض أن النقل معصوم والعقل غير معصوم. النقل معصوم عن الخطأ لا يمكن أن يقع منه خطأ لأنه كلام من؟؟ كلام من لا ينطق عن الهوى لأنه كلام رب العالمين كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف العقل، فالعقل يخطئ كما ذكرت آنفا قد يرى الإنسان بعقله أمرا ثم يتبين له خطأه ولعلي امثل للعقل مع النقل بمثال ربما يتبين أن كل واحد منهما محتاج للآخر،، فالنقل لابد معه من عقل يمكن من خلاله إدراك هذا النقل والعقل لابد له من نقل ليضبط هذا العمل،، فالعقل مع النقل كالنور مع العين انتبه !! العين الباصرة لا يمكن أن ينتفع منها صاحبها ما لم يوجد نور لو كان بصره سليما مائة في المائة ووضع في غرفةٍ مظلمة ما انتفع من هذه العين لم يرى شيئا والعكس بالعكس لو كان عندك نور قوي جدا مثل نور الشمس والشخص أعمى لم ينتفع بهذا النور وجود هذا النور كعدمه فالعين تمثل العقل والنور يمثل النقل إذن إذا أردنا الانتفاع بالنقل والعقل لابد من وجود الاثنين العقل والنقل معا هل يمكن للعقول أن تستقل بمعرفة أصول الدين؟ نقول العقول يمكن أن تدرك بعض مسائل الدين على سبيل الإجمال تدرك إثبات الإلوهية على سبيل الإجمال واثبات الربوبية على سبيل الإجمال إثبات اليوم الآخر على سبيل الإجمال إثبات صدق الرسل على سبيل الإجمال لكن تفصيل ذالك لا يمكن إدراكه إلا بالنقل تفاصيل هذه الأمور لا يمكن إدراكها إلا بالنقل فالعقل يمكن الانتفاع به في هذا الباب من جهة أننا يمكن أن ندرك به ونثبت به الأمور الإجمالية ولهذا ذكر الله عزّ وجلّ عشرات الأدلة العقلية على إثبات إلوهيته واثبات ربوبيته واثبات كماله سبحانه وتعالى واثبات اليوم الآخر إلى غير ذالك لكن هذا على سبيل الإجمال تفاصيل هذه الأمور تفاصيل ما يجري في اليوم الآخر تفاصيل ما

يجب لله عزّ وجلّ من الأســـماء والصـــفات، نعم هذه لا يمكن إدراكها بالعقل وحده بل لابد من وجود النقل، ولهذا وجود العقل لدى الإنسان من باب إقامة الحجة على هذا الشخص ولعلنا أن نقف إلى هذا الحد.

لازال الكلام في التمهيد المتعلق بمنهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد تكلمنا في الحلقة السابقة على مسألة العقل والنقل ونفي التعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح و بينا إن التعارض إذا وقع فإنما هو بسبب عدم صحة النقل أو عدم صحة العقل أو عدم صحة الدلالة لعلنا أن نستعرض في هذا اللقاء مسألة أخرى من المسائل المهمة المتعلقة بمنهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد ألا وهي حجية خبر الآحاد في مسائل الاعتقاد وقبل أن نتكلم على هذه المسألة،، لا بد أن نعرف ما المراد بخبر الآحاد؟ لأجل أن ننتقل ونعرف هل هو حجة في باب العقائد أو ليس بحجة؟؟ أحاديث النبي (ﷺ) وكذلك القرآن كيف وصل إلينا ذلك؟ وصلت إلينا عن أحد طريقين: أما أن يكون هذا الخبر أو الحديث متواتر وهذا الطريق الأول وأما أن يكون آحادا، ما المراد بالمتواتر؟؟ المتواتر ما رواه جماعة عن جماعة من أول السند، أي من أصحاب النبي (ﷺ) إلى منتهاه وأسندوه إلى شيء محسوس.. رواه جماعة عن جماعة، يعني في كل طبقه من طبقات السند جماعة رواة ليس راوي ولا راوية، يعني مثال ذلك، رواه عن النبي (ﷺ)، مثل حديث من كذب علي متعمدا رواه عن النبي (ﷺ) أكثر من عشرين صحابي،، رواه عن هؤلاء جمع من التابعين رواه عن التابعين جمع من تابعي التابعين إلى أن دون الحديث،، في كل طبقه جماعة من الناس،، هذا يسمى عند أهل مصطلح الحديث (المتواتر).. إذن رواه جماعة من الناس في كل طبقه من طبقات السند.

القسم الثاني: الآحاد. وهو ما رواه شخص يعني واحد أو أكثر في احد طبقات السند ولم يبلغ حد التواتر،، يعني جاءنا حديث وجدنا الذي رواه عن النبي (ﷺ) صحابي واحد مثل حديث إنما الأعمال بالنيات،، لم يروه إلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ماشي؟؟ !! لو افترضنا إن الذي رواه عن عمر (هو ما رواه عن عمر إلا واحد) لكن لو افترضنا إن الذي رواه عن عمر عشرة ورواه عن هؤلاء العشرة مائة ورواه عن هؤلاء المائة ألف إلى أن دونا الحديث يسمى هذا الحديث آحاد لأنه في أحد طبقات السند لم يروه جماعة يبلغون حد التواتر فيسمى آحاد،، فإذا كان في أحد طبقات السند راوي أو راويان أو ثلاثة ولم يبلغوا حد التواتر يسمى هذا عند أهل المصطلح بخبر الآحاد،، طيب،، أكثر السنة كيف وصلت إلينا هل عن طريق الآحاد أو عن طريق التواتر؟؟ انتبه !! الصحيح والواقع أن أكثر السنة جاءت بطريق الآحاد،،، الأحاديث المتواترة أحاديث محدودة ولهذا رام بعض العلماء حصرها،، فحصروها في عدد محدود بخلاف أحاديث الآحاد،، فدواوين السنة مليئة بهذه الأحاديث،، بالطبع القرآن وصل إلينا ولله الحمد والمنة عن طريق التواتر هل خبر الآحاد حجة في باب العقائد أو ليس بحجة؟؟ هذه مسألة مهمة ومسألة كبيرة ومن الأمور التي تميز بها أهل السنة والجماعة عن أهل الأهواء والبدع،، وذلك إنهم ذهبوا إلى أن خبر الآحاد إذا ثبتت صحته،، بمعنى إن النقلة لهذا الخبر ثقاة عدول فهو حجة في باب الاعتقاد،،، نأخذ به في مسائل الاعتقاد نستدل به على مسائل الاعتقاد،، قد يقول قائل: ما دليلكم؟؟ ما الدليل على أن خبر الآحاد حجة في باب العقائد؟؟ نقول: الأدلة كثيرة ولله الحمد والمنة،، وقد ثنى العلماء بهذا الأمر وجمعوا فيه عشرات الأدلة اذكر من هذه الأدلة على سبيل الإجمال وليس على سبيل الحصر والتفصيل منها أولاً قول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ (الحجرات٦)﴾ هذه الآية وهذا النص له منطوق وله مفهوم،، عندنا دلالة المفهوم ودلالة المنطوق،، فمنطوق الآية انه إذا جاءنا فاسق

بخبر فيجب علينا التثبت والتبين هل هو صـــادق أو كاذب؟! طيب !! مفهوم هذا النص ماذا يُفهم من هذا النص؟ انه إذا جاءنا عدل يجب علينا أن نقبل خبره دون تثبت وإلا لما كان هنالك فائدة للنص على الفاسـق إن جاءكم فاسـق فمعناه إن جاءنا عدل فلو كان التثبت مطلوب من الجميع لما نص الله عز وجل على الفاسق بعينه ولهذا لم يشترط الله عز وجل في العدل عددا محددا مفهوم الآية إن جاءنا العدل وان كان واحد قبلنا خبره دون تثبت بخلاف الفاسـد،، هذا هو الدليل الأول من الأدلة أيضا ما ثبت في الصحيح،، إن أهل قباء كانوا يصلون الفجر فكانوا يستقبلون بيت المقدس كما هي الحال في أول الإسلام،، فأتاهم آتٍ وهم يصلون صلاة الفجر،، وقال لهم: أن الوحي قد أُنزل على رسول الله (ﷺ) وأمر الناس أن يستقبلوا المسجد الحرام أو البيت الحرام،، فاستداروا في صلاتهم واستقبلوا الكعبة هنا الذي أتاهم آتٍ، واحد رجل، واحد قبلوه في أعظم ركنٍ من أركان الإسلام ألا وهو الصلاة،، ما قالوا ننتظر نتثبت ربما الشخص عنده سهو ربما يكون كاذب ربما،، ربما،،، لا ما قالوا ننتظر إلى أن نذهب ونسأل النبي (ﷺ)ونتثبت بأنفسنا هو شخص واحد، لا مباشرة لما كان هذا الشخص عدلا عندهم مباشرة قبلوا خبره واستداروا في صلاتهم،، هذا يدل على وجوب قبول خبر الآحاد،، الدليل الثاني النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث رسله إلى الملوك والأمراء يدعونهم إلى الإسلام،، يبعثهم جماعات أو آحاد أفرادا،،؟؟ الصحيح كان يبعثهم أفرادا،، فبعث إلى هرقل وإلى المقوقس وإلى كسرى أفراد،، أشخاص،، يدعونهم إلى ماذا؟ إلى أعظم أصول الإسلام إلى الدخول في الإسلام،، فلو لم يكن خبر الآحاد حجة لما أرسل النبي (ﷺ) هؤلاء، ابتداءً أرسلهم أفراداً بل أرسلهم جماعات لان المقصود من إرسال هؤلاء إقامة الحجة ولعل هؤلاء أن يستجيبوا ويسلموا،، فلو كانت الحجة ما تقوم بخبر الآحاد، لأرسل مجموعة من أصحابه،، وأيضاً لو لم يكن خبر الآحاد حجة ويفيد العلم وتقوم به المحجة على المدعو، لقال أولئك المدعون لما جاءهم رسول الله (ﷺ) لقالوا لهم أنتم أفراد يجوز عليكم الكذب،، يجوز عليكم الخطأ،،، يجوز عليكم النسيان،، ارجعوا إلى رسولكم فأمروه فليبعث لنا جماعة من الناس لتطمئن نفوسنا وتطمئن قلوبنا إلى هذا النقل،، ما قالوا هذا الأمر !! فدل على أن خبر الآحاد حجة !! لفعل النبي (ﷺ) ولعدم اعتراض هؤلاء.

الدليل الثالث النبي صلى الله عليه وسلم لما طلب منه أهل نجران أن يبعث معهم أمينا يعلمهم الإسلام قال لأبعثن معكم أميناً أي أمين أو حق أمين فبعث معهم من؟؟ انتبه !! ما بعث معهم عشرين من أصحابه (ﷺ) بعث معهم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وأرضاه رجل واحد فلو لم تكن الحجة تقوم بخبر واحد لما بعثه النبي (ﷺ) ابتداء وحده لا بعث معه جماعة من أصحابه ثم لو كانت الحجة لا تقوم بخبر واحد لا قال أهل نجران: ما يكفي واحد ابعث معنا يا رسول الله جماعة من الناس تطمئن له النفوس فبعث إليهم أبا عبيدة فقامت الحجة عليهم،، أيضا من الأدلة النبي (ﷺ) بعث معاذا وعلياً إلى اليمن، لدعوة أهلها للإسلام،، بعث هذا إلى ناحية وهذا إلى ناحية،، فلو كانت الحجة ما تقوم بخبر واحد لبعث جماعة إلى أهل اليمن،،، وهما رضي الله عنهما كما في حديث علي أمره أن يدعوهم أول ما يدعوهم إلى شهادة إن لا اله إلا الله إلى أصل التوحيد،، فقامت الحجة على أهل اليمن وما ردوا علياً ولا معاذا بحجة إنكم آحاد،، فدل على وجوب خبر الآحاد وانه حجة في العقائد وفي غير العقائد أيضا من الأدلة حديث أبي حمير الساعدي رضي الله عنه وأرضاه كما في صحيح البخاري قال: قدمنا إلى النبي (ﷺ) ونحن شببة متقاربون، أي متقاربون في السن فمكثنا عنده عشرين ليلة فلما رآنا اشتقنا إلى أهلنا وكان بنا رحيما أمرنا أن

نرجع إلى أهلنا وقال: (علموهم الإسلام والسنة وصلوا كما رأيتموني أصلي (أو كما قال (ﷺ) فأمر كل شخص أن يذهب إلى قومه فيدعوهم إلى الإسلام ويعلمهم أمور السنة،،، فلو لم تكن الحجة تقوم بخبر الواحد لما اكتفى النبي (ﷺ) بشخص واحد،،، فهذا دليل على وجوب قبول خبر الآحاد والأدلة كثيرة وفي هذا إن شاء الله كفاية وفي هذا ما تطمئن النفس إلى وجوب قبول خبر الآحاد،، أيضا من الأمور التي تبين وجوب قبول خبر الآحاد إن التفريق بين الآحاد وغير الآحاد في وجوب العمل بدعة لم يعرفها الصحابة ولم يعرفها أهل القرون المفضلة و أول من قال بها المعتزلة،، لاحظ !! التفريق بين الأحاديث بين الآحاد وغير الآحاد من حيث القبول والرد لا من حيث وروده إلينا تقسيم هذا تقسيم علمي لا إشكال فيه ومصطلح من المصطلحات،،، إنما الإشكال في كون هذا المفرق يقول هذا خبر آحاد لا اقبله،، وهذا متواتر اقبله،، هذا التفريق هذه بدعة لم يعرفها الصحابة رضي الله عنهم،، وما كانت معروفه في القرون المفضلة،، بل المعول عند هؤلاء والأصل عند هؤلاء ثبوت هذا النص،، إذا ثبت النص قبلوه بغض النظر،، هل وصل من طريق واحد أو اثنين أو عشره أو مائه وإذا لم يثبت لم يقبلوه وسير الصحابة في هذا كثيرة جدا، إن بعضهم كان يقبل حديث البعض الآخر وان كان واحد،، وإنما أول من تكلم في هذه المسألة (المعتزلة) لما رأوا إن هذه النصوص تتعارض صراحة وتتناقض صراحة مع ما ذهبوا إليه، وقعدوه نعم،، جاءوا بهذه الحجة الشيطانية،، وجعلوها وسيلة سهله،،، فقالوا: هذا خبر آحاد وما نقبل بخبر الآحاد في باب العقائد،، قالوا لهم هل هذا المسلك وهذا المنهج سبقكم إليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟؟ أدرى الناس واعلم الناس واعرف الناس فيما يجب الأخذ به ويجب عدم الأخذ به؟؟ إذا هي بدعة ابتدعها المعتزلة لم تكن معروفه عن أصحاب القرون المفضلة الأولى،، أيضا يقال قبول خبر الآحاد في الأحكام وردها في العقائد تناقض،، كيف تقبلون خبر الآحاد في أحكام الصلاة وفي أحكام الزكاة وفي أحكام الحج وفي أحكام الصوم؟؟ وتردون خبر الآحاد في ما يتعلق مثلا بجانب الله عز وجل أو في جانب اليوم الآخر؟؟ فأما أن تقبلوا الجميع أو تردوا الجميع تقبلوا الجميع كما صنع أهل السنة وكما هو المنهج الصحيح وأما أن تردوا الجميع هنا تقع الطامة الكبرى،، وهي رد الشريعة والطعن في الشريعة فإذا قبلتم خبر الآحاد في المسائل العملية في الأحكام وهذا هو الأصل لان جل الأحكام وغالبها ثبت بأخبار أحاد فإذا قبلتم خبر الآحاد في هذا الباب فيلزمكم قبول خبر الآحاد أيضا في مسائل الاعتقاد،،، وان فرقتم قلنا إنكم فرقتم بين المتماثلات قبلتم هنا و رددتم هنا وهذا خلاف ما يقتضيه العقل،،، العقل يقتضي التسوية بين المتماثلات،، انتم فرقتم بين المتماثلات،، أيضا يقال لهم الطعن في رواة خبر الآحاد قولكم أنهم يجوز عليهم النسيان ويجوز عليهم الخطأ يجوز عليهم الكذب نقول هذا طعنٌ في الشريعة وإبطال لها،، لماذا؟؟!! لأنهم هم رواة الأحكام الشرعية،، كيف يصلي الإنسان كما قال الأمام الحزم رحمه الله تعالى (لو اكتفى الإنسان بالقرآن لاكتفى بالصلاة ركعة أول النهار وركعة آخر النهار) لان تفاصيل أحكام الصلاة وعدد الصلاة جاءت في السنة وغالبها جاء من طريق خبر الآحاد،، فكيف سيصلي الإنسان؟؟ كيف سيخرج زكاة ماله؟؟ كيف سيحج؟؟ كيف سيصوم؟؟ كيف سيعرف أحكام المعاملات؟؟ أحكام النكاح أحكام البيع والشراء؟؟ كل هذه المسائل جاءت من طريق خبر الآحاد،، فإذا طعنتم في الرواة وقلتم يجوز عليهم،، يجوز عليهم،، إذن رددتم أحكام الشرع وهذه طامة كبيرة ولا يقبل بها احد !! لا يقبل بها مسلم ولكن نحن هنا نلزمهم من باب الإلزام إذن خبر الآحاد إذا ثبتت صحته فيجب قبوله في مسائل الاعتقاد وفي غير مسائل الاعتقاد،، هذا هو منهج أهل السنة والجماعة

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى الحديث الذي اتفق عليه البخاري ومسلم نؤمن به ونصدقه كما إننا سمعناه من النبي (ﷺ) مباشرة، ولهذا قبولنا لخبر الآحاد في باب العقائد لم يكن قبول مطلق اشترط أهل السنة أن يكون الرواة ثقاة عدول أن يكون هناك قرائن تقترن بهذا الخبر وبهذا الحديث فيؤرث علما يقنيا ويجب قبوله عند ذلك.

لازال الكلام فيما يتعلق في منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد... وعندنا اليوم مسألة مهمة ألا وهي حكم المعرفة الإجمالية والتفصيلية فيما جاء به النبي بمعنى هل يجب على كل مسلم أن يعرف ويعلم كل ما جاء به النبي أم أن هناك قدر محدد يجب على بعض لناس دون بعض. المسألة فيها تفصيل نقول أما ما يتعلق بالمعرفة الإجمالية فيجب على كل احد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمان مجملاً بما يصح به إيمانه وإسلامه الشيء الذي لا يتم الإيمان والإسلام إلا به فيجب على كل مسلم كائن من كان أي يعرف ذلك لكن على وجه الإجمال وليس على وجه التفصيل مثال ذلك الإيمان بالله يجب على كل مسلم أن يؤمن بالله على وجه الإجمال، الإيمان بالملائكة الإيمان بالرسل الإيمان بالكتب الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالقضاء والقدر، معرفة مالا يسع مسلما جهله. مالا يتم الإسلام إلا به معرفة الصلاة إلى غير ذلك. لكن تفصيل هذه المسائل. هذه ليست واجبه على الأعيان، تفصيل المسائل المتعلقة بالإيمان بالله هذه لا تجب على كل مسلم على وجه الخصوص. يجب عليه على وجه الإجمال أن يؤمن بالله عز وجل وهذا يتضمن الإيمان بوجوده، الإيمان بإلوهيته الإيمان بربوبيته الإيمان بأسمائه وصفاته على وجه الإجمال الإيمان بملائكته على وجه الإجمال لكن على وجه التفصيل منهم هؤلاء الملائكة وما وظائفهم هذه لا تجب على كل مسلم كذلك الإيمان بالكتب والرسل واليوم الآخر يجب على كل مسلم أن يؤمن بوجود هذا اليوم لكن تفاصيل هذا اليوم هذا لا يجب على كل مسلم على وجه الخصوص هذا ما يتعلق بالمعرفة الإجمالية أما المعرفة التفصيلية ففيها تفصيل انتبه نحن عرفنا الآن المعرفة الإجمالية هذه واجبه على كل مسلم لا يسع مسلم جهل ذلك لا يعذر احد بجهل ذلك الأمور التفصيلية الواجب على الأعيان أي الأفراد. هذا يتنوع بحسب قدرات الناس وحاجتهم إذن المعرفة التفصيلية هنا لا يمكن أن نعطي إجابة مطلقه كما هو الحال في المعرفة الإجمالية، لا.. هنا لابد من التفصيل يتنوع وجوب الأعيان بحسب قدرات الناس وحاجاتهم فالأمر الأول: الاستطاعة يجب على المستطيع مالا يجب على غير المستطيع ولهذا قال تعالى (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) وهذا من رحمة الله بأمته فالمستطيع يجب عليه مالا يجب على القادر مثال ذلك القادر على فهم العلم وسماع العلم يجب عليه مالا يجب على الشخص الأصم الذي لا يسمع يجب على المتعلم مالا يجب على الأمي المتعلم يقرأ ويكتب وإذا سمع العالم أو كلام الله أو كلام الرسول لديه حد أدنى من الفهم يمكن أن يدرك هذا الأمر فيجب عليه مالا يجب على ذاك المسكين الذي لا يقرأ ولا يكتب وربما يكون فهمه محدود... إذن لاحظنا الاختلاف من جهة الاستطاعة فالمستطيع يجب عليه مالا يجب على غير المستطيع الذي مثلا يستطيع أن يذهب ويطلب العلم ويسافر للعلماء ويحضر مجالس العلم يجب عليه مالا يجب على ذلك الشخص الذي لا يستطيع.

الأمر الثاني الذي يحدد الواجب على وجه التفصيل: الحاجة.. فمن وجب عليه الحج وجب عليه تعلم أحكام الحج لأجل أن يؤدي هذا الركن كما أراد الله بخلاف ذاك الشخص الذي لم يجب عليه الحج.. لو افترضنا أن زيد ليس عنده الاستطاعة للحج لا يملك الزاد والراحلة وما عنده مال يستطيع الحج هل نلزمه لتعلم أحكام الحج؟ لا.. نقول تعلم أحكام الحج بالنسبة لزيد نافلة.. لكن عمر وجب عليه الحج واستطاع الحج وأراد أن يحج نقول يجب عليك، على عينك، عليك بشخصك، أن تتعلم أحكام الحج وإلا كيف ستؤدي هذا الركن.. كذلك من وجبت عليه الزكاة إنسان ملك نصاب من المال وجب عليه أداء الزكاة كيف سيؤدي أداء الزكاة لابد أن يتعلم أحكام الزكاة ويعرفها في الشيء الذي يهمه ويخصه لأن

الحاجة بالنسبة له قائمه.. لكن زيد ليس عنده نصاب تجب فيه الزكاة ولهذا إذا تعلم أحكام الزكاة فهو من باب النافلة لكن لا يلزم بتعلم أحكام الزكاة لا يأثم إذا ترك أحكام الزكاة لأن الحاجة عنده غير قائمه أيضا لو افترضنا أن هناك إنسان متعلم ويعيش في بلد يغلب عليه الجهل هنا نقول الحاجة قامت بالنسبة لهذا الشخص أن يتعلم أحكام الشرع ليعلم هؤلاء الجهال فيلزمه بعينه تعلم أحكام الشرع لتعليم غيره سيقول لماذا ألزم دون غيري فلان من الناس في البلد الفلانية ليس ملزم ولا يأثم إذا ترك تعلم أحكام الشرع تفصيلا نقول لأنك الآن متعلم ووحيد في هذا البلد الحاجة الآن قائمه، أنت ملزم أن تعلم هؤلاء أحكام دينهم فيلزمك أن تتعلم أحكام الدين الحاجة الآن قائمه أيضا من سمع النصوص وفهمها يجب عليه مالا يجب على من لم يسمعها إنسان سمع هذه الآية هذا الدليل هذا الحديث هذا الحكم الشرعي من هذا العالم يلزمه مالا يلزم ذلك الشخص الذي لم يسمع ذلك الحكم.. أيضا من عرضت له شبهة يجب عليه أن يتعلم ما يزيل به هذه الشبهة كيف؟ إنسان فتح الإنترنت ودخل احد المواقع المشبوهة التي ديدنها عرض الشبه على الناس وتشكيك الناس بدينهم فسمع شبهة أو حضر منتدى فسمع شبهة أو جلس مع مبتدع فسمع شبهة يقال لهذا الشخص يلزمك ويجب عليك عينا أن تتعلم ما تزيل عنك هذه الشبهة ليش؟ لأجل لا تكون هذه الشبهة سبب لضلالك وانحرافك.. شخص آخر لم يتعرض لهذه الشبهة سلم من سماع هذه الشبهة فلا يلزم أن يتعلم من العلم ما يزيل به هذه الشبهة إن تعلم ذلك فنور على نور ونافلة وان لم يتعلم لن يأثم بذلك لكن الشخص الذي سمع هذه الشبهة يجب عليه عينا أن يبادر فيتعلم من العلم الشرعي ما تزول به هذه الشبهة وآثارها... قد يقول قائل أنا سمعتها ولكن سأجعلها تمر مرور الكرام نقول ما يلزم هذا. ربما انقدحت هذه الشبهة في نفسك ففعلت فعلتها وصارت سبباً في ضلالك فالمفترض أن لا تتعرض لهذه الشبهة وان تبتعد قدر المستطاع عن أماكن هذه الشبهة فإذا ابتليت بشيء من ذلك هنا تحمل ما جاءك أنت السبب ابتداءً فعليك أن تتعلم يجب عليك عيناً أن تتعلم ما يرد هذه الشبهة لتسلم منها ومن آثارها... أيضا نقول فيما يتعلق بما يجب على الأعيان تفصيلا معرفته من أمره. مما جاء عن النبي انه يجب على من نشأ في بلاد يكثر فيها العلم يجب عليه مالا يجب على من نشأ في بلاد يكثر فيها الجهل فالإنسان الذي نشأ في بلد يكثر فيها العلماء ويكثر فيها العلم الشرعي ويكثر فيه الدعاة إلى السنة يجب عليه مالا يجب على ذاك الشخص الذي نشأ في بيئة يغلب عليه الجهل ربما لا يوجد فيها احد من العلماء أومن طلبة العلم أولا يوجد مسلم فالشخص الذي نشأ في بلاد الإسلام في بلاد العلم بين أهل التوحيد بين أهل العقيدة الصحيحة يجب عليه مالا يجب على ذاك الشخص البعيد... ولهذا ننتهي إلى قاعدة كلية عامة أن الواجب على التفصيل يختلف ويتنوع بحسب قدرات الناس وحاجاتهم فيجب على المستطيع مالا يجب على غير المستطيع ويجب على صاحب الحاجة مالا يجب على غير صاحب الحاجة ويجب على من سمع النصوص بخلاف من لم يسمع النصوص ومن عرضت له شبهة بخلاف من لم تعرض شبهة وسلم منها أو من نشأ في بلاد الإسلام وبلد العلم بخلاف من نشأ في بلاد الجهل...وبهذا يتضح حكم المعرفة الإجمالية والمعرفة التفصيلية بما جاء به النبي... بعد ذلك ننتقل إلى أسباب انحراف الناس عن العقيدة الصحيحة وهذا في واقع الأمر باب واسع وموضوع مهم يجب التنبه له. وذلك أن الملاحظ كثرة من ضل وانحرف في هذا الباب ولهذا قال تعالى (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ) وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين، والرسول في الحديث الصحيح في حديث عرض الأمم عليه يوم القيامة ذكر أن النبي يأتي معه الرجل والرجلان ويأتي النبي وليس معه احد فالكثرة ليست بدليل على الحق وليست دليل على الصواب وليست بدليل على سلامة المنهج وإنما الحق والسلامة

في لزوم منهج النبي وهدي النبي وهدي أصحابه وهدي السلف الصالح...مسائل الاعتقاد وباب العقيدة ضل فيها كثير من الناس وانحرفوا عن جادة الصواب وخالفوا ما كان عليه المصطفى وأصحابه والذي بين النبي أن النجاة من النار يوم القيامة متوقفة على لزوم منهج هؤلاء وطريقة هؤلاء اعني منهج النبي وأصحابه فما أسباب انحراف الناس عن العقيدة الصحيحة.. الأسباب كثيرة جدا.. لكن يمكن إجمالهما فيما يلي:

أولا.. الجهل وهو داء عضال وهو سبب البلاء في كل شي فلا ضل الناس ولا انحرفوا ولا تخبطوا ولا تلاعبت بهم شياطين الإنس والجن إلا لما حل بهم الجهل وإلا إن العلم نور يحترق أمامه كل شي وتتلاشى أمام نور العلم ظلمات الضلال والانحراف فالإنسان ربما يكون في هذا المكان في هذه الغرفة في ظلام دامس فإذا أنار المصباح تبدد هذا الظلام وهكذا العلم مع الجهل فغالب ما أوتي الناس بسبب الجهل.. ولهذا لاحظوا إن الأمة كلما ابتعدت عن زمن وعصر النبوة كلما كثر الضلال والانحراف والتفرق وكثرت وعظمت البدع ولهذا شيخ الإسلام ابن تيميه يجعل لنا قاعدة إن البدعة كلما قربت من زمن النبوة كلما كانت اخف من التي ظهرت بعدها لأن نور النبوة كان قوياً فكان يبدد بشعاعه ظلمات هذه البدع وهكذا الإنسان إذا ابتعد عن العلم وغرق في ظلمات الجهل أصبح عرضة لكل شبهة عرضة لكل داعية ضلال عرضة لكل انحراف عرضة لكل شيطان من شياطين الإنس والجن بخلاف ما إذا تسلح بالعلم ولهذا اضرب لكم مثال كيف أن العلم منجاة والجهل مهلكة قصة الدجال التي جاءت في صحيح البخاري في حديث الجساسة الطويل وذكر النبي انه يأتي إلى المدينة فيمنع من دخولها وقد تبعه أمم من الناس من الذين خيم عليهم الجهل وغرقوا في دياجير الجهل وضللهم هذا الدجال بكذبه وانطلى عليهم خبثه وسوئه قال للسماء أمطري فأمطرت وقال للأرض انبتي فأنبتت فقالوا هذا هو رب العالمين والسبب في ذلك الجهل لكن لاحظ إن العلم هو صمام الأمان ذكر النبي انه يخرج إليه شاب إذا منع دخول المدينة فيناظره فيقول له الدجال كما جاء في معنى الحديث تؤمنُ بي فيقول لا أنت الدجال الذي اخبرنا النبي (ﷺ) عنه فيضربه بالسيف فيجعله فلقتين ثم يمشي بينهما ثم يقول له قم فيقوم فيقول تؤمنُ بي فيقول ما ازددت فيك إلا يقينا انك الدجال الكذاب الذي اخبرنا النبي (ﷺ) فهذا الشاب سلم من ضلال هذا الدجال بسب العلم الذي تسلح به فالجهل هو أصل البلايا في مسألة انحراف الناس عن العقيدة الصحيحة ولهذا ادر ناظريك يمنة ويسرة تلاحظ أن البلاد التي ينتشر فيها الانحراف عن المعتقد الصحيح وتكثر فيها البدع والضلالات إنما الغالب على أهلها الجهل والضلال.. ونكتفي بهذا القدر وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المحاضرة الثامنة

توقفنا في الحلقة السابقة على أسباب انحراف الناس عن العقيدة الصحيحة وذكرنا السبب الأول وهو الجهل وقلنا انه داء عضال وهو السبب الرئيس في انتشار البدع وظهور الخلافات وانحراف الناس عن العقيدة الصحيحة. السبب الثاني من الأسباب: إتباع الهوى وإتباع الهوى سبب رئيس في انحراف الناس عن سلامة المعتقد ولهذا قال تعالى عن الهوى (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ) (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) وهل ضل أهل البدع وضل أهل الجهل وضل أهل الخرافة إلا بسبب إتباع الهوى لما اتبعوا أهوائهم بل من أعظم ما وُجِهَ به الأنبياء والرسل في دعوتهم من قبل أعدائهم ووُجِهُوا بسبب إتباع الهوى قد قالوا أهل العلم سمي الهوى بالهوى لأنه يهوي بصاحبه في الضلال ويهوي بصاحبه في الانحراف وربما يهوي بصاحبه في النار والهوى ماهو إلا حاجز وحائل بين الشخص وبين رؤية الحق فهو حجاب يستر الإنسان أن يرى نور الحق فيستمر في ضلاله وانحرافه وقد قال احد أئمة السلف ما ذكر الله عز وجل الهوى إلا ذمه فالهوى سبب رئيس من الأسباب التي أدت إلى انحراف الناس عن العقيدة الصحيحة وإلا لو تجرد الناس من الهوى واتبعوا النص واستسلموا لنصوص الوحيين لوفقوا للحق. لماذا لأن الحق عليه نور قال تعالى (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) فإذا سمع الإنسان آيات الله عز وجل سمع أحاديث النبي سمع أقوال أهل العلم بتجرد وفق للصواب لكن الإشكال أحيانا أن يسمع كلام الله وكلام رسوله وهو يحمل في نفسه ما يمنعه من الانتفاع بهذا الكلام ألا وهو الهوى نعوذ بالله من الهوى، ولهذا لاحظ الذي سمع من النبي أمم، لكن هل آمن به كل من سمعه لا علما أن الكلام واحد الوحي واحد هناك من سمعه وانتفع بسماعه فآمن به وهذا الشخص الذي تجرد عن الهوى وشخص آخر سمعه ولكن كان يحمل في قلبه حجاباً غليظاً ألا وهو الهوى ولهذا سمع كلام النبي كما يسمع الشعر من الشاعر والكلام من الخطيب وأصبح كما وصفه النبي كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا أي كالكأس مقلوب انتبه لو أخذت كأس وقلبته ثم سكبت عليه ما شئت من الماء آلاف اللترات هل يمكن أن يدخل في جوف الكأس نقطة واحدة لا يمكن كذلك هذا القلب الذي أُشرِب بالهوى تغلف بالهوى لا ينتفع بشيء مما جاء به النبي ولهذا يبقى بضلاله وانحرافه أياً كان هذا الضلال و الانحراف.

السبب الثالث: إتباع المتشابه من النصوص ترك المحكم وإتباع المتشابه قال تعالى (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) الشاهد إن الله اخبر أن الذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه ولهذا ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سما الله فاحذروهم.. فمن أسباب انحراف الناس في العقيدة إتباع المتشابه من القول كلام الله كما اخبر قسمان محكم ومتشابه فمن رد المتشابه إلى المحكم وآمن بهذا وعمل بهذا سلم بإذن الله ووفق لسلوك الصراط المستقيم لكن من اخذ بالمتشابه وترك المحكم ضل عن سواء السبيل وغالب الفرق المنتسبة للإسلام التي ضلت في باب العقائد ما ضلت إلا بسبب إتباع المتشابه من القول. بسبب إتباع المتشابه من كلام الله وكلام رسوله واضرب لكم أمثله على ذلك المعطلة كيف ضلوا في باب أسماء الله وصفاته حتى آل بهم الأمر أن عطلوا الرب عن ما يستحقه عن صفات الكمال فقال قائلهم الله لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم وليس فوق العالم ولا تحت العالم ولا داخل العالم ولا خارج العالم وليس موصوف بالعلم ولا ألحكمه ولا القدرة ولا الإرادة إلى غير ذلك ما السبب في ذلك؟ أنهم تمسكوا بما تشابه عليهم كما في قوله ليس كمثله شيء وسكتوا ولم يكن له كفواً احد وسكتوا طيب ردوا هذا المتشابه إلى المحكم الآخر

الذي فيه إثبات الصفات ليس كمثله شيء أكمل وهو السميع البصير هذا هو المحكم إثبات السمع والبصر فضلوا في هذا الباب.

مثال آخر الذين ضلوا في باب القضاء والقدر فنفوا عموم مشيئة الله عز وجل ونفوا خلق الله لأفعال العباد من أين أتوا بتمسكهم بما تشابه عليهم من إثبات مشيئة العبد دون مشيئة الرب.. لمن شاء منكم أن يستقيم.. ما أخذوا المحكم من النصوص المثبتة لمشيئة الله في مقابل هذا الذي تشابه عليه قابلهم الجبرية الذين نفوا مشيئة العبد وجعلوا العبد مجبوراً على فعله لا اختيار له ألبته وانه كالريشة في مهب الريح من أين أتوا؟ انتبه !! أتوا من قوله تعالى (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ) (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ) (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) وهلم جرا النصوص التي فيها إثبات المشيئة لله عز وجل فأخذوا بما تشابه عليهم من هذه النصوص وتركوا المحكم من النصوص الأخرى التي فيها إثبات مشيئة العبد الذين ضلوا في محبة النبي فغلوا في محبته وصرفوا له شيئاً من خصائص الله صرفوا له أنواع من العبادة دعوه من دون الله استغاثوا به من أين أتوا؟ أتوا لما اخذوا المتشابه من قول الرسول (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) وزعموا إن هذا من مقتضى محبته وتركوا المحكم من أقواله كقول الرسول (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم) وقوله للرجل أجعلتني لله نداً؟! وأيضا تركوا المحكم من قوله تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ) هو بشر يجري عليه ما يجري على البشر لكنهم اخذوا المتشابه من هذه النصوص وهكذا فكل من ضل في باب من أبواب العقيدة ففي واقع الأمر أوتي من حيث انه اخذ بالمتشابه من النصوص وترك المحكم منها.... أيضا من أسباب انحراف الناس عن العقيدة الصحيحة: إتباع المتشابه من أقوال أهل العلم هذا أمر مهم فكما إن نصوص الوحيين فيها محكم ومتشابه ولا يوفق الإنسان للحق والصواب إلا إذا اخذ بهما جميعا رد المتشابه إلى المحكم وآمن بهذا وعمل بذاك كذلك أقوال أهل العلم فيها أحيانا المتشابه وفيها المحكم فأهل الضلال أحيانا من كلام هؤلاء ما يشهد لبدعتهم ما يشهد لضلالهم وانحرافهم ويتركون المحكم من أقوالهم الذي يبين هذا المتشابه فأحياناً العالم يقول كلام عام في هذا المسألة لكنه يبين هذا الكلام العام في مسألة أخرى يقيد هذا الكلام العام فالواجب أن نرد المتشابه من قوله هنا. الكلام العام إلى الكلام المقيد..ولعلي اضرب لكم مثال بسيط كثير ممن ضل في مسائل التكفير وللأسف واستند في ذلك إلى بعض أقوال شيخ الإسلام أو أقوال الإمام ابن قيم أو أقوال أئمة الدعوة فإنما أوتي من حيث انه اخذ بالمتشابه من أقوالهم وترك المحكم وهذا للأسف ديدن أهل البدع إنهم يجزئون الكلام لا يأخذون الكلام بمجموعهِ، لا.. يأخذون جزء من الكلام الشيء الذي يشهد لما في نفوسهم من الهوى لما يريدون تقريره هم لا يبحثون عن الحق ولا إذا كان الإنسان صادقا بالبحث عن الحق فهم يأخذون بالمتشابه من الكلام ويدعون المحكم يأخذون هذا الكلام المجتزئ من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو من كلام الشيخ سليمان ابن عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب أو من كلام شيخ الإسلام أو أحيانا حتى من كلام الأمام احمد ويدعون الكلام الآخر الذي يبين هذا الكلام العام ويكون هذا سبب لانحرافهم وضلالهم ولهذا الواجب أن نتعامل مع أقوال أهل العلم كما نتعامل مع نصوص الوحيين في مسألة الأخذ بالمحكم والمتشابه معا نرد المتشابه إلى المحكم لأن المتشابه لا يتضح إلا بالمحكم من القول.

السبب الخامس: سماع كلام أهل البدع والجلوس إليهم.. الله أمرنا أمر إيجاب لا خيار لنا فيه أننا إذا سمعنا من يخوض

في آيات الله أن نجتنب هذه المجالس (وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) هذا الخطاب موجه للنبي ﷺ ومقصود به الأمة جميعاً فإذا كان النبي وهو الذي أرسله الله وهو الذي عصمه الله وهو الذي تسلح بالعلم وهو الذي يقيناً لا يمكن أن تؤثر عليه شبهة أو أن ينقدح في قلبه ضلاله أمره الله أن يتجنب مجالس وأماكن أولئك القوم الذين يخوضون في آيات الله فأمته من باب أولى والمتأخرون من أمته الذين ظهروا في القرون الأخيرة كأمثالنا من باب أولى وأولى ولهذا لا خيار للمسلم في تجنب مجالس هؤلاء وسماع كلامهم فمن أسباب انحراف الناس عن العقيدة الصحيحة من هذه الأسباب سماع كلام هؤلاء الضلال هؤلاء المنحرفين الجلوس في مجالسهم الجلوس إلى منتدياتهم السماع إلى قنواتهم الذهاب إلى نواديهم حضور تجمعاتهم القراءة في كتبهم في صحفهم في مجلاتهم كل هذا يجمعه الخوض في آيات الله عز وجل... فأنت ربما استمعت إلى هذه الشبهة فانقدحت في ذهنك فما استطعت التخلص منها فكانت سببا في ضلالك وانحرافك وكم حصل من القصص قديما وحديثا وضل أناس بسبب سماع أهل البدع والجلوس إلى أهل البدع ولهذا ألف أهل العلم استقلالاً، عقدوا الأبواب والفصول وكتبوا كتباً مستقلة في تجنب مجالس أهل البدع وسماع كلام أهل البدع.

لاحظ.. الجهم ابن صفوان رأس التعطيل رأس الضلال الذي لازالت الأمة تتحسى ضلاله إلى يومنا هذا. من أعظم أسباب انحرافه وخروجه إلى الناس بهذه الضلالات وبهذه البدع الكبار انه ناظر طائفة من طوائف ملاحدة الهند يقال لهم السمنيه طرحوا عليه بعض الشبه قالوا له هل رأيت ربك هل شممت ربك هل لمسته هل سمعته؟ قالوا له إذا تعبد عدماً، فأوقعت هذه الشبهة في نفسه ما أوقعت فاحتار في أمره واعتزل الناس واحتجب عنهم يقال أربعين ليلة ثم خرج إلى الناس بهذا الضلال ودعا الناس إلى أن وجود الله هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق والسبب أنه جلس إلى هؤلاء الضُلالْ ولم يكن متسلحاً بالعلم بحيث يستطيع أن يدفع عن نفسه هذه الشبهة. عمران بن حطان رأس من رؤوس الخوارج بلغ من ضلاله نسأل الله السلامة والعافية انه قال يمدح عبد الرحمن بن ملجم الخارجي الآخر قاتل علي الذي قال فيه النبي: (اشقي الناس عاقر ناقة صالح وقاتل علي) النبي حكم عليه بالشقاء وبالضلال ومع ذلك يقول عمران بن حطان يمدح هذا الرجل:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذا العرش رضوانا إني لأذكره يوما فأحسبه أزكى البرية عند الله ميزانا

هذا الرجل كيف وقع في هذا الضلال يقال انه كان على مذهب أهل السنة لكنه كانت له ابنة عم كانت على مذهب الخوارج فتزوجها رغبةً في هدايتها إلى مذهب أهل السنة فطرحت عليه بعض الشبه فانقدحت في نفسه فضل وانحرف وصار رأس من رؤوس الخوارج... وذكر لي من قريب أن هناك شاب في مقتبل العمر في العقد الثاني من عمره أو الثالث وكان رجل صاحب فطرة سليمة صاحب صلاة صاحب استقامة لكنه ابتلي بالدخول في بعض المنتديات الإلحادية فتوسع معهم في الأخذ والعطاء وقراءة ما يطرحونه من الشبه إلى أن وصل الأمر به الإلحاد للأسف الشديد فألحد وخرج عن دين الله عز وجل... ولهذا السلامة لا يعدلها شيء..صغير في زمن عمر لما كان يمشي بين الناس بالمتشابه عاقبه عمر واخذ على يديه وأوجعه ضربا... كذلك الرجل الذي جاء من المبتدعة إلى الشافعي رحمه الله وأراد أن يكلمه ويناظره

ويناقشه فمنعه الشافعي فأشار إليه قال كلمة قال ولا نص كلمة... والأئمة في هذا الباب حذروا اشد التحذير وذلك لأثار سماع كلام هؤلاء على عقيدة المسلم.

المحاضرة التاسعة

تكلمنا في اللقاء السابق عن أسباب انحراف الناس عن العقيدة الصحيحة وذكرنا خمسة أسباب وبقي واحد ذكرنا الجهل، وإتباع الهوى، وإتباع المتشابه من النصوص، وإتباع المتشابه من أقوال العلم، وسماع كلام أهل البدع والجلوس إليهم باقي عندنا السبب السادس: ألا وهو البعد عن أهل العلم.. الله عز وجل جعل العلماء ورثة الأنبياء ولذا يجب أن يضبط فهم نصوص الكتاب والسنة على وفق ما يفهمه هؤلاء العلماء الربانيون الذين ورثوا ميراث النبوة و أتمنوا على هذا الميراث فهم من اعلم الناس بمراد الله من كلامه واعلم الناس بمراد كلام النبي بكلامه ولهذا قال تعالى (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أذاعوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) فالله أمرنا أن نرد ما تشابه علينا وما يحدث من الأمور وتختلط فيه الأفهام وتشتبه فيه الآراء أمرنا أن نرد هذا الأمر إلى الرسول والرد إليه في حياته الرجوع إليه مباشرة أما بعد مماته فالرجوع إلى سنته وإلى أقوال أولي الأمر وأولو الأمر يشمل ولاة الأمر الذين هم الأئمة والحكام وأيضا العلماء ويقول تعالى

(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) والنبي بين أن العلماء ورثة الأنبياء ولهذا من أسباب انحراف الناس عن العقيدة الصحيحة بعدهم عن هؤلاء العلماء فإذا ابتعدوا عن العلماء كثرت عليهم الشبه وتعددت بهم السبل و الطرق فلا يدرون أي هذه الطرق الطريق الصواب والناس محتاجين إلى العلماء أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب وذلك أن العلماء تحيى بهم القلوب وهم صمام الأمان للمجتمعات..هذه بعض الأسباب التي أدت إلى انحراف الناس عن العقيد الصحيحة..

ننتقل بعد ذلك إلى أصول الإيمان.. ما المراد بأصول الإيمان؟ المراد بها أصول الإيمان الستة وان شئت فقل أركان الإيمان الستة وهي الإيمان بالله الإيمان بالملائكة الإيمان بالكتب الإيمان بالرسل الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالقضاء والقدر هذه هي أصول الإيمان و مدار العقيدة على هذه الأصول جاء ذكرها بالكتاب والسنة أما أدلتها من القرآن قال تعالى (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) كم عندنا هنا من أصل من هذه الأصول؟!! ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، إذا هذه الآية تضمنت خمسة أصول باقي عندنا أصل (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ) هذه أربعة أصول ولازال باقي عندنا أصل وهو الإيمان بالقضاء والقدر (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) هذه خمسة أصول باقي عندنا الأصل الخامس ألا وهو القدر، القدر جاء بآية مستقلة وبدليل مستقل قال تعالى (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) أما دليل هذه الأصول الستة من السنة فيما ثبت بالصحيحين من حديث عمر رضي الله عنه الطويل لما جاء جبريل وجلس إلى النبي واسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه وقال يا محمد اخبرني عن الإسلام وذكر له أركان الإسلام الخمسة ثم قال له اخبرني عن الإيمان فقال له أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت.. فأصول الإيمان جاءت مجتمعه بهذا الحديث.. حكم الإيمان بهذه الأصول، لاشك إن الإيمان بها على وجه الإجمال فرض على كل ومسلمه بل لا تصح عقيدة مسلم كائن من كان إلا بعد الإيمان بهذه الأصول الستة مجتمعة دون تفريق فمن آمن ببعضها وكذب بالبعض الآخر لم تصح عقيدته وفسد إيمانه بل ولم يدخل في دائرة الإسلام.. اضرب لكم مثالا لو جاءنا شخص وآمن بالله وآمن بالرسل وآمن بالكتب وآمن باليوم الآخر وآمن بالقضاء والقدر ولكنه كذب بالملائكة وزعم أن هذه خيالات وهذه تصورات ولا حقيقة البتة لهؤلاء الملائكة فعقيدته فاسدة وليس بمسلم. آمن بالأصول الخمسة لكنه كذب بالأصل السادس بل لو جاءنا إنسان وآمن بالله

وبملائكته وبكتبه وبرسله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر لكنه كذب بنبوة عيسى عليه السلام وزعم إن عيسى ليس برسول وإنما هو مصلح فعقيدته فاسدة لأنه لم يؤمن بهذه الأصول فيجب الإيمان بهذه الأصول الستة بل مدار العقيدة على هذه الأصول الستة عقيدة المسلم قائمة على هذه الأصول الستة هذه أركان الإيمان هذه أصول الإيمان هذه أسس العقيدة ولهذا إذا اختل شيء منها اختلت عقيدة الإنسان بقدر الخلل الذي حصل عند هذا الشخص فإذا كذب بنبوة نبي من الأنبياء فسدت عقيدته وإذا كذب بمسألة جزئيه متعلقة بأحد هذه الأصول الستة اختلت عقيدته بقدر هذا التكذيب. ننتقل بعد ذلك إلى مراتب الدين.. مراتب الدين ثلاث مراتب لو أخذناها من الأدنى إلا الأعلى يقال الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان.. ما الدليل على أن هذه مراتب الدين؟ الدليل حديث جبريل آنف الذكر لما دخل وسئل النبي (ﷺ) عن الإسلام قال له: أن تشهد إن لا إله إلا الله وان محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال له صدقت.. قال فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وبملائكته وبكتبه وبرسله وباليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.. قال صدقت، قال فاخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. لاحظ سَـَٔلَ النبي مُرَتِباً سؤاله بالأدنى إلى الأعلى ما لدليل على أنها من مراتب الدين قول النبي في آخر الحديث أتدرون من السائل يسأل الصحابة قالوا الله ورسوله اعلم: قال هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمور دينكم..إذا الدين هو هذه المراتب الثلاث إسلام وإيمان وإحسان أدناها الإسلام وأعلاها الإحسان الإسلام يمثل الأعمال الظاهرة الأعمال المتعلقة بالجوارح الشهادة صلاة، زكاة، حج، صيام الإيمان يتعلق بالأمور القلبية وهي المرتبة الوسطى الإيمان بالله وملائكته وكتبه الخ المتعلقة بالقلب الأعمال الباطنية أعمال لا ترى ولا تقتضي من صاحبها فعل ما إنما يكتفي بها بالإيمان بها بالقلب فمن آمن بالملائكة لا يقال افعل كذا بيديك أو افعل كذا بقدميك أو افعل كذا بوجهك بخلاف الصلاة أفعال ظاهره الصيام فعل ظاهر إمساك عن الطعام والشراب الحج أفعال ظاهره الشهادة أفعال ظاهره للكن أصول الإيمان متعلقة بالقلب..الإحسان وهو أعلاها درجه أن يجمع بين إيمان القلب وأعمال الجوارح الذي هو الإسلام ويتعبد الله بأعلى درجات أعمال القلوب ألا وهو الإخلاص أن تعبد الله كأنك تراه فإذا لم تكن تراه فإنه يراك بمعنى أن تستحضر عظمة الله عز وجل هذه العظمة التي محلها القلب تستحضرها فيظهر آثار هذه العظمة واثر هذا الإخلاص واثر هذه الخشية يظهر على الجوارح من خلال هذه العبادات التي أنت مأمور بها. الفرق بين الإيمان والإسلام عرفنا إن الإسلام متعلق بأمور الجوارح.. والإيمان متعلقاً بأعمال القلوب ما لفرق بينها؟ بعض أهل العلم ذهب إلى أن لا فرق بين الإسلام و الإيمان وبعض أهل العلم فرق بينها بإطلاق لكن القول الراجح بالمسألة أن الإيمان والإسلام بينهما عموم وخصوص وإنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا كيف ذلك انتبه إذا اجتمعا يعني ذكر الإسلام والإيمان كما ذكر في حديث جبريل وكما في قوله تعالى (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) اجتمعا ذكر الإيمان وذكر الإسلام.. إذا اجتمعا افترقا بمعنى صار للإيمان معناً يخصه وصار للإسلام معناً يخصه كيف؟ إذا اجتمعا كما اجتمعا في حديث جبريل صار الإسلام يعني الأعمال الظاهرة الأعمال المتعلقة بالجوارح التي هي أركان الإسلام الخمسة والإيمان المقصود به الأعمال القلبية التي هي أصول الإيمان الستة.. صار لكل معنى يخصه خلاص افترقا صار للإيمان معنى وللإسلام معنى آخر.. لكن إذا ذكر الإيمان وحده أو ذكر الإسلام وحده إذا افترقا بمعنى ذكر احدهم وحده اجتمعا بمعنى إذا ذكر الإيمان وحده دخل فيه الإسلام وإذا ذكر الإسلام وحده دخل فيه الإيمان وبهذا تجتمع الأدلة ولابد لأحدهما من الآخر ما ينفع احدهما دون الآخر لهذا قال تعالى عن صنف من الناس

وهنا مثال لاجتماع الإيمان والإسلام (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) انتم مسلمون ولستم بمؤمنين إذا هناك فرق بين الإيمان والإسلام كما قال أهل العلم لابد له من إيمان يثبت صحته أعمال ظاهره صلاة بدون إيمان في القلب لا تنفع صاحبها ليست بصحيحة حج والقلب خاوي من الإيمان بالله لا ينفع صاحبه كحال المنافقون قالوا لا إله إلا الله وصلوا مع النبي وربما أخرجوا زكاة أموالهم وصاموا مع الناس وحجوا مع الناس بل وجاهدوا مع الناس فهل انتفعوا بهذه الأعمال؟ لا.. لماذا؟ لعدم وجود إيمان يصحح هذه الأعمال، فَصِحةِ هذه الأعمال متوقف على وجود إيمان كما إن الإيمان مستلزم لأعمال الجوارح المثبتة لصدقه إذا الإيمان بلا عمل هذا إيمان كاذب ولهذا قال تعالى (أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) إذا الإيمان لابد له من امتثال لشرائع الإسلام امتثال الجوارح ليدل على صدق هذا الإيمان لكن قول الإنسان أنا مؤمن وليس بممتثل لشرائع الإسلام بالظاهر إيمانه كاذب إذا لاحظنا إن العلاقة بين الإيمان والإسلام علاقة وثيقة وهذه كثيرة بالقرآن بعض الألفاظ الذي يكون بينه عموم وخصوص مثل الفقير والمسكين مثل البر والتقوى إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا إذا ذكر الفقير دخل معه المسكين وإذا ذكر المسكين دخل معه الفقير لكن إذا ذكرا معا صار المسكين له معنا والفقير له معنا (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) هنا صار الفقير له معنا يخصه وصار الفقير له معنا يخصه مثل الإسلام سواء بسواء.

المحاضرة العاشرة

ذكرنا في الحلقة التاسعة، أصول الإيمان، ذكرنا إن أصول الإيمان ستة،، الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة والإيمان بالكتب والإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقدر، لعلنا من بداية هذه الحلقة أن نتكلم على هذه الأصول بشيء من التفصيل إذ هي أصول العقيدة الصحيحة،، وقد ذكرنا فيما سبق أن عقيدة المسلم لا تصح إلا باستكمال هذه الأصول الستة، نبدأ أولا بالأصل الأول الذي هو الإيمان بالله،، كيف يكون الإنسان مؤمنا بالله؟؟ هل قَول الإنسان أنا مؤمنا بالله كافيا في تحقيق هذا الأصل العظيم؟ نقول الإيمان بالله لا يتحقق إلا بالإيمان بأنواع التوحيد الثلاثة، وهي الربوبية والإلوهية والأسماء والصفات.. فإذا حقق الإنسان أنواع التوحيد وآمن بها، صح إيمانه بالله عز وجل فإذا اخل بشيء منها أختل إيمانه بالله، ولا شك إن الإيمان بالله هو أعظم أصول الإيمان، ولهذا كما ذكرنا في الحلقات الأولى انه أطلق على هذا العلم (علم العقيدة) علم التوحيد لأنه أشرف مسائل علم العقيدة توحيد الله عز وجل وأعظم مسائل العقيدة توحيد الله عز وجل إذن الإنسان يحقق الإيمان بالله عز وجل إذا حقق أنواع التوحيد الثلاثة،، فإذا آمن بربوبية الله تعالى وآمن بأسمائه وصفاته لكنه كذب بتوحيد الإلوهية فهل يصح إيمانه بالله؟ كلا. إذا آمن بربوبية الله عز وجل وبإلوهيته لكنه كذب بأسمائه وصفاته هل يكون مؤمنا بالله؟ لا. لو افترضنا انه آمن بربوبية الله و بإلوهيته سبحانه وتعالى وبأسمائه وبصفاته لكنه كذب بصفة من صفاته التي ثبتت في الكتاب والسنة أو ثبتت في أحدهما ! يقال أختل إيمانه بالله، إذن ننتهي إلى خلاصة إلى إن الإيمان بالله يتضمن الإيمان بهذه الأمور الثلاثة وسنأخذها الآن واحداً واحد على وجه التفصيل، فنأخذ النوع الأول الذي هو الإيمان بربوبية الله عز وجل، قبل أن نذكر الكلام على الإيمان بربوبية الله عز وجل.. قد يقول قائل: ما دليلكم على أنواع التوحيد الثلاثة هذه؟ من قال لكم إن الإنسان لا يكون مؤمنا بالله عز وجل إلا بعد أن يؤمن بأنواع التوحيد الثلاثة؟! يقال لما نظر أهل العلم في نصوص الكتاب والسنة وفي دلالتهما، وجدوا إن الإيمان بالله عز وجل يدور على الإيمان بهذه الأمور الثلاثة، وسواء جعلنا التوحيد ثلاثة أقسام كما ذهب إلى هذا بعض أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين،، فممن قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام الأمام ابن منده رحمه الله في كتابه التوحيد، الأمام ابن بطه وغيرهم، أو قسم التوحيد إلى قسمين توحيد الإثبات والمعرفة وتوحيد القصد والطلب لا يضر هذا تقسيم علمي تقسيم منهجي، فالمطلوب تحقيق أنواع التوحيد الثلاثة ننتقل إلى توحيد الربوبية الذي هو النوع الأول. ما المراد بتوحيد الربوبية؟ ما تعريف توحيد الربوبية؟ متى يحقق الإنسان توحيد الربوبية؟ متى يكون مفردا لله عز وجل في ربوبيته؟ الجواب / توحيد الربوبية عرفه أهل العلم بأنه بعبارة مختصرة أفراد الله عز وجل بأفعاله. أفعال الله عز وجل كثيرة جدا مثل الخلق فعل الله عز وجل، فمن لوازم توحيد الربوبية أن تفرده بالخلق، بمعنى إن لا خالق إلا الله،، فالرزق أن تعتقد انه لا رازق إلا الله،الإحياء،الإماتة، النفع، الضر، إنزال المطر، إنبات النبات،إلى غير ذلك من خصائص الربوبية،،، فأفراد الله / أن تفرد الله عز وجل أن تعتقد إن الله وحده له هذه الأفعال لا يشاركه فيها احد كائناً من كان،، فمن أعتقد أن هناك من يخلق مع الله أو يرزق مع الله أو ينفع مع الله أو يضر مع الله، فقد أختل عنده جناب توحيد الربوبية، ومن أهل العلم من يعرف توحيد الربوبية بأنه الاعتقاد الجازم بأن الله وحده هو الخالق وانه هو وحده هو الرازق وانه وحده هو المميت وانه وحده هو النافع الضار إلى غيرِ ذلك.. هذا هو توحيد الربوبية الذي من حققه حقق جانباً من التوحيد، حقق جزء من الإيمان بالله، الأدلة على هذا النوع الذي هو توحيد الربوبية، الأدلة كثيرة لكن يمكن أن تقسم إلى أربعة أقسام، دلالة الشرع القسم الأول، دلالة العقل، دلالة الفطرة، دلالة الحس،، لو أخذنا دلالة الشرع / القرآن مليء بالأدلة على ربوبيته سبحانه (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ) دليل على توحيد الربوبية (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) دليل على توحيد الربوبية. الشـــاهد، الأدلة من الشـــرع، الآيات، القرآن مليء بالأدلة على إثبات ربوبيته سبحانه (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) له جميع الخلق والأمر لا يشـــاركه أحد في ذلك هل من خالق غير الله؟ ولن نقف كثيرا عند دلالة الشـــرع لأنه كما ذكرت الأدلة كثيرة أما دلالة العقل فإن الله سـبحانه أشـار إلى مجموعة من الأدلة العقلية في كتابه سـبحانه الدالة على ربوبيته من ذلك على سـبيل التمثيل لا الحصر قوله سبحانه (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ) هذا دليل عقلي على إثبات ربوبية الله سبحانه وتعالى. هل خلقوا من غير شيء؟؟ الجواب / لا. إذن هل هم الخالقون لأنفسهم؟ الجواب أيضاً هذا مستحيل عقلاً.. الأمر الأول أن العقل يحيل أن يوجد الشـيء بلا موجد ولهذا لو قيل لبعض الناس هذا القلم وُجدَ صـدفةً دون أن يصـنعه أحد!! لقيل له أنت مجنون وفي عقلك خلل !! طيب؟! هذا أمر بسيط جدا فكيف بالإنسان كيف بالسموات وكيف بالأرض وكيف بالكون؟؟؟!!!... أم خلقوا من غير شـيء.. هذا مسـتحيل عقلا أن يوجد الشـيء بلا موجد طيب يمكن أن يكون الشـخص هو الذي أوجد نفســه.. أم هم الخالقون؟؟! أي الموجدون لأنفســهم وهذا أعظم اســتحالة لان الإنســان لا يمكن أن يكون موجود ومعدوم في آن واحد !! لأنه يسـتلزم لإيجاده لنفســه أن يكون موجوداً وهو معدوم !! ولا يمكن أن يكون الموجد له مخلوقاً من جنسه !! لأنه يستلزم التسلسل. إذن الجواب / لابد لهم من خالقٍ خلقهم متصفٌ بالكمال سبحانه وتعالى.. هذا دليل عقلي ولهذا اجتمع مجموعة من الملاحدة لمناظرة أبي حنيفة رحمه الله تعالى في إثبات ربوبية الله عز وجل في إثبات الله عز وجل فتأخر عليهم في الميعاد المضروب بينهم وبينه ثم لما حضر قالوا له: تأخرت.. قال: لقد رأيت عجباً !! رأيت مركبا في دجلة رسا بنفسه من دون ربان يقوده و حمل البضائع بنفسه وسار بنفسه إلى الشاطئ الآخر ورسا بنفسه وفرغ حمولته بنفسه !! فقالوا له: هذا مستحيل !! وأن كنت تصدق بهذا الأمر ففي عقلك خلل !! فقال لهم: سبحان الله !! هذا مستحيل في مركبٍ صغيرٍ محدودٍ فكيف يجوز أن يقال إن هذا العالم يسير بنفسه ويدبر نفسه من غير مدبرٍ ومن غير خالق؟! فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين.. قال: الآن انتم أحلتم هذا الشيء عقلا في مخلوقٍ بسيط !! فكيف بهذا الكون؟؟! ولما سئل الأعرابي كيف عرفت ربك؟! قال سبحان الله !! سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج إن الأثر يدل على المسير وأن البعرة تدل على البعير... هذه السماء بأبراجها وأفلاكها ونجومها وهذه الأرض بسهولها وجبالها وفجاجها وبحارها ألا تدل على وجد اللطيف الخبير؟؟! ولهذا اتســاق وانتظام أمر العالم دليل عقلي على إثبات إن لهذا العالم خالق مدبر والأدلة العقلية كثيرة هذه أمثله فقط على إثبات ربوبية الله عز وجل بالعقل أما إثبات ربوبيته سـبحانه وتعالى بالفطرة فقد أشار الله عز وجل إلى هذا الأمر (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) ولهذا الخلق مفطورون على وجود الله عز وجل والفطرة أمر مركوز في الخلق لا يمكن إنكاره أو جحده ولهذا قد يجحد الإنســان بلســانه وينكر بلســانه وجود الله عز وجل وربوبية الله عز وجل لكن فطرته تأبى وتغالب إنكاره هذا فأعظم من عرف بإنكاره وتجاهله للخالق هو (فرعون) عليه لعنة الله قال صـــراحة للناس: ما علمت لكم من اله غيري وقال: أنا ربكم الأعلى،،، أراد أن يصـــارع فطرته لكن أبت فطرته إلا أن تظهر على حقيقتها،، فلما أدركه الغرق ماذا قال؟! قال: آمنت أن لا اله إلا الذي آمنت به بنو إســـرائيل،، وهذا أعظم من عرف بإنكاره وتجاهله للخالق أما النوع الرابع من أنواع الأدلة الدالة على ربوبية الله عز وجل فدلالة الحس و يضـرب بعض أهل العلم أمثلة على هذا يقولون: تظهر دلالة الحس في أمرين الأمر الأول / آيات الأنبياء ومعجزات الأنبياء أدلة حســـية على إثبات ربوبية الله عز وجل،، فلو لم يكن هناك

رب موجود ما استطاع الأنبياء أن يأتوا بهذه الخوارق،، كون هذا البحر المتلاطم يكون في لحظة واحده طُرقاً معبده هذا أمر مستحيل لو لم يكن هناك رب أجرى هذه الآية على يدي موسى عليه الصلاة والسلام،، وآيات الأنبياء كثيرة فهذه صورة حسية ملموسة مشاهده على إثبات ربوبية الله لماذا جرت هذه الخوارق على يد هذا الشخص ولم تجري على يد ذاك الكذاب هذا يدل على أن هناك رب يسرها وسخرها لهذا المخلوق الذي هو الرسول ومنعها عن بقية الناس،، الصورة الثانية من صور دلالة الحس على إثبات ربوبية الله: إجابة الدعاء،، إجابة الدعاء صورة حسية واضحة مشاهده عيانا على إثبات وجود الله عز وجل.. ثبت في صحيح البخاري إن النبي (ﷺ) كان يخطب يوم الجمعة فدخل رجل فقال يا رسول الله: هلكت الأموال وجاع العيال فأدعو الله عز وجل أن يسقينا فرفع النبي (ﷺ) يديه وقال: اللهم أغثنا اللهم أغثنا.. يقول راوي الحديث: فما والله ما في السماء من جزعه ولا سحابه،، السماء صافيه فثارت سحابة ثم كما في الحديث انتشرت وما خرج الناس من المسجد إلا وقد نزل المطر.. واستمر المطر أسبوعا فلما كانت الجمعة الثانية دخل هذا الرجل أو غيره وقال: يا رسول الله وقف أمام النبي (ﷺ) وقال: يا رسول الله انقطعت السبل وانهدام البناء فأدعو الله عز وجل أن يرفعه عنا،، فتبسم النبي (ﷺ) ورفع يديه وقال: اللهم حولينا ولا علينا اللهم على الآكام والجبال.. إلى آخر الحديث.. فتمزق السحاب فخرجوا يمشون في الشمس،، هذه الاستجابة الفورية في هذا الدعاء يدل على إن هناك رب استجاب هذا الدعاء فظهرت نتيجة هذا الدعاء،، قد يقول قائل: هذا رسول الله نقول: حتى في عموم الخلق قد تنقطع السبل بالشخص وتتلاشى أمامه جميع الوسائل الحسيه والوسائل المعتادة فيرفع يديه إلى الله عز وجل فيسأله سؤال المضطر فتأتي الأمور على خلاف المعهود وكم سمعنا وسمعتم إن إنسانا انقطعت به السبل في الصحراء في مكانٍ وفي وقتٍ لم يكن معهوداً أن يُرى السحاب فضلا أن ينزل المطر.. فيرفع هذا المسكين يديه إلى الله عز وجل ويبتهل بين يديه ويمرغ وجهه لله عز وجل ويسأله أن يغيثه فيتكون السحاب وينزل المطر ويشرب هذا الشخص فلو لم يكن هناك رب موجود لدعا الإنسان ودعا ودعا... لأنه كما يقول الملاحدة أصلا هذه الأمور تخضع لنواميس ثابتة لا تتغير ولا تتبدل فإجابة الدعاء دليل حسي على إثبات وجود الله عز وجل،، هذه بعض الأدلة الدالة على النوع الأول من أنواع التوحيد، ألا وهو توحيد الربوبية،، بقي عندنا بعض المسائل المتعلقة بهذا النوع لعلنا نرجع الكلام عليها، في الحلقة القادمة.

المحاضرة الحادية عشر

سبق الكلام في الحلقة السابقة على الإيمان بالله عزّ وجلّ وانه يتضمن الإيمان بأنواع التوحيد الثلاثة توحيد الربوبية وتوحيد الإلوهية وتوحيد الأسماء والصفات. وبدأنا الكلام على توحيد الربوبية وذكرنا تعريفه والأدلة عليه، ولعلنا في هذا اللقاء وفي هذه الحلقة نستكمل الكلام على هذا النوع من أنواع التوحيد. فنقول وبالله التوفيق..

هل يكتفي الإنسان بتوحيد الربوبية للدخول في الإسلام؟ يعني هل يكفي في دخول الإسلام أن يحقق الإنسان توحيد الربوبية؟ أن يعتقد اعتقادا جازما إن لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ولا محيي إلا الله ولا نافع إلا الله ولا ضار إلا الله !!

هل هذا يكفي في الدخول في دائرة الإسلام؟؟ الجواب / لا. هذا لا يكفي بل لابد معه من توحيد الإلوهية فلو حقق الإنسان توحيد الربوبية وحده لم يكن مسلما !!.. ما الدليل على ذلك؟!.. الدليل إن المشركين الذين بُعث فيهم النبي (ﷺ) كانوا يقرون ويعترفون بتوحيد الربوبية ومع ذلك لم يدخلوا في الإسلام.. اسمع إلى قول الله عزّ وجلّ (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ). فسيقولون الله يقرون ويعترفون إن الذي يرزقهم من السماء والأرض هو الله وحده. وان الذي يملك السمع والأبصار ويخرج الميت من الحي ويخرج الحي من الميت والذي يدبر الأمر هو الله وحده.. ومع ذلك قال الله عزّ وجلّ (فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) وفي الآية الأخرى (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) وفي الآية الأخرى (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) وقال سبحانه (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) آمنوا بالربوبية ولكنهم أشركوا في الإلوهية،، إذا تحقيق الربوبية وحده لا يكفي في الدخول للإسلام،، والمشركون الذين قاتلهم النبي (ﷺ) وحكم عليهم بالكفر وحكم عليهم بالنار هؤلاء كانوا يقرون صراحة ويعترفون صراحة إن الخالق وحده هو الله وان الرازق وحده هو الله وان النافع وحده هو الله وان الضار وحده هو الله،، ولم ينفعهم ذلك ولم ينجهم ذلك من الخروج من الشرك.. إذا لابد مع ذلك من توحيد الإلوهية، فما العلاقة بين توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية؟؟ نقول: بعبارة مختصرة (توحيد الربوبية دليل على توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الإلوهية) ما الدليل؟؟.. الدليل قول الله عزّ وجلّ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة ٢١) يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم والذين من قلبكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناءً وانزل من السماء ماءا فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنداد وانتم تعلمون استدل بالربوبية على الإلوهية إذا كنتم تعترفون وتقرون إن الله وحده هو الذي خلقكم وخلق الذين من قبلكم وهو الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وهو الذي انزل من السماء ماء وهو الذي أخرج الثمرات من الأرض إذا كنتم تقرون وتعترفون بهذا الأمر فلا تجعلوا لله أنداد وحدوه بالعبادة افردوه الإلوهية،، ولهذا يقال لهؤلاء المشركين الذين اعترفوا بتوحيد الربوبية، اعترافكم بتوحيد الربوبية، اعتقادكم أن لا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله ولا محيي إلا الله ولا نافع إلا الله،، يلزمكم الإقرار بالإلوهية،، فإذا كان الرازق وحده هو الله كان هو وحده المستحق للعبادة،، إذا نقول: إن الربوبية دليل على الإلوهية هذا ما يتعلق بالنوع الأول من أنواع التوحيد..

ننتقل إلى النوع الثاني ألا وهو توحيد الإلوهية ما المراد بالإلوهية؟ الإلوهية: مأخوذةٌ من إله و إله معناها أَلِهَ يؤله فهو مألوه أي: معبود. وهذا سائر في العرب في لغة العرب يأتي الشيء على وزن فعال(إله)ويكون معناه على وزن مفعول

(مألوه) مثل: ركاب الذي يوضع على ظهر البعير معناه (مركوب) يركب عليه.. هذا معنى الإلوهية لغة. أما تعريف توحيد الإلوهية في الشرع في الاصطلاح فهو بعبارة مختصرة (إفراد الله بأفعال العباد) فالربوبية ماذا قلنا؟ انتبه!! قلنا (إفراد الله بأفعاله) هنا نقول إفراد الله بأفعال العباد مثل: الذبح.. الذبح فعل من؟؟ فعل العبد وليس فعل الرب.. النذر.. الدعاء.. الاستغاثة.. الصلاة.. الزكاة.. الصيام.. إلى آخره أن تفرد الله عزّ وجلّ بهذه الأفعال.. أن تعتقد إن الله وحده هو المستحق للعبادة.. ألا تصرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله.. هذا معنى إفراد الله بالعبادة أو إفراد الله بأفعال العباد أدلة هذا النوع من التوحيد القرآن مليء بالأدلة على هذا النوع من التوحيد. السبب كما سيأتي، لان مدار رحى دعوة الرسل على هذا النوع من التوحيد.. بل ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن القرآن من أوله إلى خاتمته كله في هذا النوع من أنواع التوحيد كل آية من القرآن متعلقة بهذا النوع من التوحيد.. من أول آية إلى آخر آية من هذه الأدلة على سبيل التمثيل والإشارة فقط قول الله عزّ وجلّ (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) أن لا تعبدوا إلا إياه (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ) أيضا مما يبين ويدل على أهمية هذا النوع من التوحيد.. إن الله عزّ وجلّ جعله الغاية من خلق الخلق فقال سبحانه وتعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) إلا ليوحدوني في العبادة إلا ليصرفوا جميع أنواع العبادة لي.. هذه هي الغاية من خلق الخلق.. ما خلقهم ليجمعوا الأموال ولا ليزرعوا الأشجار والثمار خلقهم ليوحدوه في عبادته.. أيضا من ما يبين أهمية ومنزلة هذا النوع من أنواع التوحيد. إن الأنبياء قاطبة جميع الأنبياء اتفقوا على دعوة الناس إلى هذا النوع من أنواع التوحيد... فالله عزّ وجلّ بعث جميع الأنبياء للدعوة إلى توحيد الإلوهية.. ما الدليل على ذلك؟؟ الدليل قول الله عزّ وجلّ (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) ولقد بعثنا في كل أمة رسول ما المقصود بالبعثة؟؟ ما الهدف من هذه البعثة؟؟ أن أعبدوا الله.. هذا هو مدار دعوة الرسل ولهذا ذكر الله كما ذكر في سورة هود إن كل نبيا يدعو قومه أو ما يدعوهم؟ (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ) (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا) أما دلالة العقل على إثبات الإلوهية لله عزّ وجلّ فان من تفرد بالخلق وتفرد بالرزق وتفرد بالإحياء وتفرد بالإماتة نعم.. جدير أن تصرف له جميع أنواع العبادة.. ودليل على انه وحده سبحانه وتعالى هو المستحق لجميع أنواع العبادة.. فمن الضلال والسفه أن تصرف العبادة إلى مخلوق ضعيف لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره.. ولهذا قال الله عزّ وجلّ عن أكرم خلقه وأشرف خلقه وأحب خلقه إليه عن النبي (ﷺ) قال عنه (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا) فإذا كان النبي (ﷺ) لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فغيره من باب أولى فكيف يملك هذا المخلوق لغيره نفعا ولا ضراً.. ولهذا أخبر الله عزّ وجلّ عن الذين اتخذوا من دون الله أولياء مثلهم بماذا؟؟ كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لا بيت العنكبوت.. فالعقل السليم يقتضي أن من تفرد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والنفع والضر انه وحده هو المستحق للعبادة فإذا صرف الإنسان نوعا من أنواع العبادة لغير الله فهذا دليل على خلل في عقله وسفه في رأيه ولهذا سفه الله عزّ وجلّ المشركين لما عبدوا هذه الآلهة أين كانت هذه الآلهة أصنام،، أشجار،، أحجار،، أو أضرحة، ملائكة،، سفههم الله لما كانت لا تملك لهم نفعا ولا ضرا ماذا قال إبراهيم لأبيه؟؟ يا أبتي لما تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا؟؟ أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا

ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون.. كل هذا من باب تسفيه العقل ولهذا نقول: إن العقل السليم يقتضي أن من أفرد الله عزّ وجلّ أو أعتقد إن الله عزّ وجلّ هو الخالق النافع الضار، أن يفرده في العبادة.. بلا شك أهمية هذا النوع من التوحيد. انه أهم أنواع التوحيد. لأنه الذي جرى فيه الخصومة والخلاف بين الأنبياء وبين رسلهم، والشرك الذي وقع في الأمة وقع في الخلق وقع في هذا النوع من أنواع التوحيد.. أما الشرك الذي وقع في توحيد الربوبية أو حتى في توحيد الأسماء والصفات هذا وقع من شواذ الخلق أما عموم الخلق كما تقدم من كلام في توحيد الربوبية فكانوا معترفين مقرين بتوحيد الربوبية وإنما الخلل والضلال والانحراف وقع منهم في توحيد الإلوهية ولهذا ما انزل الله عزّ وجلّ من الكتب وما أرسل من الرسل إلا لتحقيق هذا النوع من أنواع التوحيد.. ننتقل بعد هذا إلى النوع الثالث من أنواع التوحيد ألا وهو توحيد الأسماء والصفات.. وهو النوع الذي إذا آمن به الإنسان مع إيمانه بربوبية الله عزّ وجلّ وإلوهيته فقد استكمل إيمانه بالله عزّ وجلّ توحيد الأسماء والصفات عرفه أهل العلم / (إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات ونفي ما نفاه الله عزّ وجلّ عن نفسه من صفات النقص والعيب) هذا باختصار.. أو بعبارة أخرى (إثبات الكمال لله عزّ وجلّ وتنزيه سبحانه عن كل نقص وعيب) هذا الكمال ما هو؟؟ يتمثل في أسمائه وصفاته التي جاءت في الكتاب والسنة أو قد يقال بعبارة أخرى (توحيد الله عزّ وجلّ أو إفراد الله عزّ وجلّ في أسمائه وصفاته) بمعنى أن تثبت لله عزّ وجلّ هذه الصفة له وحده سبحانه وتعالى. ألا تثبت هذه الصفة لأحد من خلقه تكون مماثلة لصفته سبحانه وتعالى أو تثبت له سبحانه صفة مماثلة لصفة المخلوق أو أن تعطل الرب سبحانه وتعالى عن هذه الصفة.. فإذا فعلت هذا فأنت في واقع الأمر لم توحد الله عزّ وجلّ في صفاته هذا النوع من أنواع التوحيد يقوم في واقع الأمر على أسس من هذه الأسس أولا (إثبات الكمال لله وحده) بمعنى إثبات الكمال المطلق له سبحانه وتعالى.. وكما ذكرت هذا الكمال يتمثل في تلك الأسماء والصفات التي أثبتها لنفسه فهو سبحانه أعلم بما يستحقه وبما لا يستحقه من الأسماء والصفات.. ولهذا وصف نفسه بالسمع فيجب أن نصفه بالسمع سبحانه وتعالى. فنثبت له السمع.. وصف نفسه بالبصر نثبت له البصر وصف نفسه بالكلام نثبت له الكلام وصف نفسه بالقدرة نثبت له القدرة وصف نفسه بالإرادة نثبت له الإرادة وهلم جرى اثبت لنفسه انه الحي السميع البصير القدير العليم فنثبت له هذه الأسماء.. هذا هو الأساس الأول. الأساس الثاني (تنزيهه سبحانه وتعالى عن كل نقص وعيب) كل صفة دلت على نقص أو عيب فالله منزه عن ذلك ولهذا نزه نفسه سبحانه وتعالى عن جلة من صفات النقص، مثال ذلك: الظلم (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) السِنة والنوم (لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ) اللغوب وهو التعب (وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ) العجز (وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا) وصفات النقص كثيرة في القرآن التي نفاها الله عزّ وجلّ عن نفسه.. وعلى كل حال.... الولد، الوالد (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ) الشريك،، الأمثلة كثيرة المثل (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) الشاهد إن كل صفة نقص يجب تنزيه الله عزّ وجلّ عنها هذه من الأسس التي يقوم عليها توحيد الأسماء والصفات... إننا نثبت الكمال وننزه الله عن النقص الأساس الثالث (نفي العلم بكيفية الصفة) بمعنى إننا لا ندرك ولا نعلم كيفية هذه الصفات نثبتها لله عزّ وجلّ لكن لا نكيف (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) (وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ) نعم فنثبت لله السمع لكن كيفية هذا السمع الله أعلم !! نثبت له النزول كما ثبت في الصحيحين عن النبي (ﷺ) انه ينزل حين يبقى ثلث الليل الآخر لكن كيفية هذا النزول الله أعلم نمسك عن الكيفية.. نثبت له الاستواء،، (ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) كيفية الاستواء لا يجوز أن نقول استواء الله على العرش كاستواء المخلوق على الكرسي لا !!!!.. هذا من التكيف ونحن لا نعلم الكيفية.

الكيفية أمرها إلى الله فإذا كَيْفَ الإنسان صفة من الصفات فانه في واقع الأمر ألحد في أسماء الله وصفاته فنحن نثبت لله الأسماء والصفات لكن نمسك عن الكيفية ولما؟؟ لان هذا لم يثبت به الشرع لم يأتي دليل شرعي يثبت لنا كيفية هذه الصفات.. جاءت الأدلة في إثبات الصفات لكن ما الدليل على إثبات الكيفية وأيضا هذا مما لا يدرك بالعقل إلى هنا ونكتفي بهذا القدر.

المحاضرة الثانية عشرة

سبق الكلام في اللقاء السابق أو اللقاءات السابقة بعبارة أدق عن الأصل الأول الذي هو الإيمان بالله وذكرنا إن الإيمان بالله يتضمن أمورا ثلاثة الإيمان بربوبيته والإيمان بإلوهيته والإيمان بأسمائه وصفاته وبينا معنى الإيمان بهذه الأنواع

الثلاثة من التوحيد.. بقي عندنا نقطة واحده في ما يتعلق بأنواع التوحيد وهو إن الأصل في البشرية التوحيد،، الأصل فيهم التوحيد،، والشرك أمر طارئ عليه، بمعنى إن الله لما خلق الخلق كانوا على الفطرة، كانوا على التوحيد ثم طرأ الشرك، حدث الشرك والدليل على ذلك ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال: وقد ذكره البخاري يوم علق انه قال: كان الناس على التوحيد لمدة عشرة قرون ثم حدث الشرك.. كيف حدث الشرك؟!.. الله عزّ وجلّ لما انزل آدم إلى الأرض وتناسل بنوه عنه كانوا على التوحيد.. لم يحدث الشرك.. وأستمر الناس على ذلك أجيالاً بعد أجيال.. نعم سَوّلَ الشيطان لأحد ابني آدم فقتل آخاه، لكن هذا لا علاقة له بأمر التوحيد، هذه معصية، وليس هذا هو الشيء الذي يريده الشيطان،، الشيطان لا يريد إيقاع بني آدم في المعاصي والكبائر بقدر ما يريد أن يوقعهم في هذا الذنب العظيم،، هذه الجريمة النكراء،، التي هي الشرك.. لأنه إذا أوقعهم في الشرك، أخرجهم عن دائرة الإسلام،، فاستمر الناس من بعد آدم إلى نوح عشرة قرون كما ذكر ابن عباس،، وهم على التوحيد وهم موحدون لله عزّ وجلّ لم يقع الشرك بعد،، على الفطرة التي فطروا عليها،، لما كان زمن نوح عليه السلام هلك أناس صالحون كما جاءت في بعض الروايات هلكوا في سنة واحده أي في وقت متقارب،، وكان لهم مكانتهم وقيمتهم عند قومهم،، فحزنوا قومهم عليهم حزنا شديداً،، فوجد الشيطان ضالته في هذا الموقع،، ووجدها فرصة سانحة لإيقاع الخلق في الشرك،، فجاء إليهم في صورة الناصح المشفق المحب، وأمرهم أن يصوروهم وفي رواية أن يجعلوا لهم تماثيل،، قال: فإذا رأيتموهم تذكرتموهم فاجتهدتم في العبادة،، ولم يطلب منهم في أول وهلة أن يصرفوا لهم العبادة !! لأنه لو طلب منهم من أول مرة أن يصرفوا لهم شيئا من العبادة ما أطاعوا وتبين لهم كذبه وتبين لهم خديعته، فقبلوا منه هذه المشورة فصوروا لهؤلاء الصالحين، صورا ونصبوها في مجالسهم وأماكن عبادتهم فتركهم وشأنهم.. أخذوا كما ذكر الشيطان إذا رأوهم تذكروهم واجتهدوا بالعبادة،، لما هلك هذا الجيل أو الجيل الذي بعده أوحى الشيطان إلى هذا الجيل الثاني أو الثالث الذي خفيا عليهم الهدف الذي وضع الآباء هذه الصور وهذه التماثيل لأجله قال لهم: آباؤكم كان يستمطرون بهم،، يدعونهم من دون الله عزّ وجلّ يسألونهم،، فعبده من دون الله.. فوقع الشرك في الأرض،، فاحتاج الناس إلى الرسالات وإلى الكتب فأرسل الله عزّ وجلّ إليهم نوح عليه السلام داعيا إلى التوحيد ومنقذا للبشرية،، إذن ننتهي إلى نتيجة واحدة أن الأصل في البشرية التوحيد أو الشرك؟؟ الصحيح / التوحيد أما الشرك فأمر طارئ عليه.. ننتقل بعد هذا إلى بعض المسائل المتعلقة بتوحيد الإلوهية أو (توحيد العبادة) على وجه الخصوص وهي من المسائل المهمة،، المسألة الأولى (شهادة إن لا إله إلا الله) نريد أن نقف عند معناها وأركانها وشروطها ونواقضها ما معنى (لا إله إلا الله) معنى (لا إله إلا الله) المعنى الصحيح المعنى الذي تشهد له الأدلة المعنى الذي تشهد له لغة العرب انه (لا معبود بحق إلا الله) لا معبود بحق و إلا فالمعبودات كثيرة لكن المعبود بحق هو الله وحده. هذا معنى (لا اله إلا الله) فإذا قلت (لا إله إلا الله) معناها لا معبود بحق إلا الله.. هناك من قال إن معنى (لا اله إلا الله) لا معبود إلا الله وحده وهذا خطأ واضح.. إذن المعبودات كثيرة، إذا كان كل ما عبد فهو الله عزّ وجلّ هذا عقيدة (أهل الحلول والاتحاد) ومن الناس من قال معنى (لا إله إلا الله) لا موجود إلا الله وهذا غلط، إذ الموجودات كثيرة،، ليس معنى (لا إله إلا الله) لا موجود إلا الله،، ومن الناس من قال (لا موجود بحق إلا الله) وهذا غلط فالمعنى الصحيح (لا معبود بحق إلا الله) هذا معنى شهادة (إن لا اله إلا الله). فضل هذه الكلمة ومكانتها ومنزلتها / لا شك إن هذه الكلمة لا يعدلها شيء، بل ولا يقاربها شيء،، لأجل هذه الكلمة خلق الله الخلق،، لأجل هذه الكلمة أرسل الله الرسل.. لأجل هذه

الكلمة انزل الله الكتب.. لأجل هذه الكلمة انقسم الناس إلى فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير.. لأجل هذه الكلمة خلقت السموات والأرض.. لأجل هذه الكلمة خلقت الجنة والنار.. لأجل هذه الكلمة صار الناس فسطاطين.. أولياء للرحمن وأتباع للشيطان.. هذه الكلمة هي أعظم شهادة في القرآن ولهذا قال الله عزّ وجلّ (شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) هذه أعظم شهادة بالقرآن !!! لماذا؟! لان الشاهد هو الله والمشهود به كلمة التوحيد لا إله إلا الله هذه الكلمة هي أول ما يدخل به الإنسان في الإسلام !! أول موطئ يضع الإنسان قدمه في الإسلام بهذه الكلمة الدليل قول النبي (ﷺ): فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا اله إلا الله كما في الصحيح في حديث معاذ رضي الله عنه هذا أول ما يدخل به الإنسان إلى الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا ثبت في صحيح مسلم { من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة } هذه الكلمة بها يعصم الإنسان دمه وماله وعرضه.. يكون دمه حرام وماله حرام و عرضه حرام.. بهذه الكلمة فقط.. لا لأجل انه ينتسب إلى القبيلة الفلانية ولا إلى البلد الفلاني ولا إلى المكان الفلاني.. لا!! إلى (لا اله إلا الله).. أين كان لونه أو جنسه.. في أي مكان عاش في أي زمان ظهر... الدليل ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة { أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا إن لا اله إلا الله واني رسول الله } طيب إذا فعلوا ذلك ما لهم؟؟ { فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله } طيب.. ولهذا كما ذكرنا سابقا في حديث أسامة كما في صحيح مسلم لما قتل ذاك الرجل الذي كان في صف المشركين وفعل بالمسلمين الأفاعيل فأدركه أسامة ففر أمام أسامة فلما أراد أن يهوي عليه بالسيف قال لا اله إلا الله.. فبادر إلى ذهنه أول ما تبادر انه ما قال هذه الكلمة إلا خوفاً من السيف فعاجله فقطع رقبته قطع رأسه فنقل ذلك إلى النبي (ﷺ) فدعا أسامة وقال له: يا أسامة أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟ قال يا رسول الله: ما قالها إلا خوفا من السيف فعل وفعل وفعل،، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: هلَّ شققت عن قلبه؟؟.. كيف عرفت انه قالها خوفا من السيف؟؟ قال لا إله إلا الله.. خلاص... عصم دمه صار دمه حرام.... هلَّ شققت عن قلبه؟؟ قال يا رسول الله: استغفر لي قال: ما تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة تحاج عن صاحبها تدافع عن صاحبها... قال أسامة: فوددت أني لم اسلم إلا هذه اللحظة.... إذن هذه الكلمة شأنها عظيم قدرها جسيم ولهذا ثبت عند الترمذي وغيره: أن موسى عليه السلام قال: يا رب علمني شيئا ادعوك به وأذكرك به.. قال: يا موسى قل لا اله إلا الله قال: يا رب كل عبادك يقول ذلك..موسى أراد من الله عزّ وجلّ أن يخصه بشيء من الذكر شيء من الدعاء دون سائر الخلق.. ما ذا قال الله عزّ وجلّ له؟؟؟ قال: يا موسى قل لا اله إلا الله فلو أن السموات السبع والأراضين السبع في كِفة ولا اله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا اله إلا الله.. كأنه يقول له: لا أعلم شيء أفضل من هذه الكلمة ولهذا هي أفضل الذكر على الإطلاق... هذا شيء من فضل هذه الكلمة أركانها أركان لا اله إلا الله.. عرفنا معناها.. وعرفنا شيء من فضلها.. فما أركانها؟ (لا اله إلا الله) لها ركنان (النفي) و (الإثبات)،، لا اله (نفي) هذا الركن الأول / نفي جميع ما يعبد من دون الله (لا اله) ليس هناك اله مستحق العبادة (إلا الله) الركن الثاني (إلا الله) أي إثبات جميع أنواع العبادة لله.. إذن عندنا ركنان لـ(لا إله إلا الله) الركن الأول (لا اله) والركن الثاني (إلا الله). بعد هذا شروط (لا اله إلا الله)... عرفنا آنفا فضل هذه الكلمة فهل كل من قال لا اله إلا الله انتفع بهذه الكلمة؟؟ هل كل من قال (لا اله إلا الله) حصل له الفضل المترتب على هذه الكلمة؟؟ الجواب.. لا، ولهذا قيل لوهب

ابن منبه: أليس (لا اله إلا الله) مفتاح الجنة؟؟ قال بلى.. لكن ليس هناك مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك.. (لا اله إلا الله) يقولها المنافق وأين مكانه بالآخرة؟؟ في الدرك الأسفل من النار.. فلماذا لم ينتفع بـــ(لا اله إلا الله)؟ فهناك شروط لـــ(لا إله إلا الله) لا يمكن للإنسان أن ينتفع بهذه الكلمة مالم يحقق هذه الشروط... !!! والمقصود تحقيق هذه الشروط لا حفظ هذه الشروط.. فقد تجد عامي من عوام المسلمين محقق لشروط (لا اله إلا الله) وان كان لا يعرفها واحد اثنين ثلاثة... ليس هذا هو المقصـــود !!!! طيب من أين أتت هذه الشـــروط؟؟؟ هل ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم؟؟ هل ذكرها الله عزّ وجلّ في كتابه وقال شروط (لا اله إلا الله) واحد اثنين ثلاثة أربعه خمسه ستة سبعه..؟؟ الجواب لا.. لم تأتي بهذا الشكل، لكن استخلصها أهل العلم، أخذوها من نصوص القرآن ومن نصوص السنة ولِمَ؟ لماذا حاول أهل العلم استخلاص هذه الشروط و تصنيفها هذا التصنيف؟؟ حر ص العلماء على ذكر هذه الشروط لســبب وذلك انه وجدت في الأمة من يقول (لا إله إلا الله) ويعمل بما يناقضـــها،، يقول (لا اله إلا الله) ويذبح لغير الله يقول (لا إله إلا الله) ويســـتغيث بغير الله.. يقول (لا اله إلا الله) و يدعو غير الله.. المشـــركون الذين بعث فيهم النبي (ﷺ) ما كانوا بحاجة للنص على هذه الشروط وتصنيف هذه الشروط لما؟؟!!! لأنهم كانوا أعلم من كثير ممن وقع في الشرك في الأمة في هذه الأزمنة.. أعلم بـــمعنى (لا إله إلا الله) هم عرفوا معنى هذه الكلمة ولهذا ما قالوها ابتداء،، فما يقولها أحدهم ويعمل بما يناقضها كما هي الحال عند بعض مشركي زماننا هذا،، لا.. ولهذا قال العلماء، المشركون الذين بعث فيهم النبي صـــلى الله عليه وســـلم اعلم بمعنى (لا إله إلا الله) من كثير من مشـــركي زمننا هذا ثبت في صـــحيح البخاري: إن بعض صـــناديد قريش منهم أبو جهل وأميه بن خلف جاءوا إلى عم (ﷺ) أبي طالب وقالوا له: يا أبا طالب هذا ابن أخيك يعنون رسـول الله (ﷺ) سـفهه أحلامنا وسـب آلهتنا وفعل وفعل،، فأمره فليكف عنا وعن آلهتنا وعن آبائنا ونحن سنكف عنه وإلحاق الأذية به.. أبو طالب راق له هذا الحل يعني اعتبره حل وسط،، فدعا النبي (ﷺ) ليعرض عليه ما طلبه منه كبار قومه،، فقال له هؤلاء كبار قومك يطلبون منك كيت وكيت،، ما ذا أجابهم النبي صلى الله عليه وسلم؟؟ نرجئ هذا إلى الحلقة القادمة.

المحاضرة الثالثة عشر

تقدم في الحلقة السابقة الكلام على معنى لا إله إلا الله وعلى قولها وأركانها ثم بدأنا الكلام على شروطها وذكرنا أن العلماء استخلصوا هذه الشروط السبعة من نصوص الوحيين وكان السبب في إبراز هذه الشروط وجمع هذه الشروط

واستخلاص هذه الشروط انه وجد في الأمة لما تقدم العهد بعد زمن النبوة من يقول هذه الكلمة ويعمل بما يناقضها وقلنا إن المشركين الذين بعث بهم النبي (ﷺ) ما كانوا يقولون هذه الكلمة ابتداء لأنهم يعلمون معناها، خلاف المتأخرين فإنه وجد من يقول لا إله إلا الله ويعمل بما يناقضها فذكر أهل العلم شروطها وذكرنا قصة النبي (ﷺ) مع كبار قومه أو بدأنا ذكر هذه القصة لبيان إن المشركين الذين في زمن النبي (ﷺ) كانوا يعلمون و يعرفون معنى هذه الكلمة. توقفنا على كون هؤلاء الصناديد جاءوا إلى عم الرسول صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه أن يطلب من رسول الله (ﷺ) أن يكف عنهم ويكفهم عنه فدعا أبو طالب ابن أخيه الرسول (ﷺ) وقال يا محمد هؤلاء قومك يريدون منك كذا وكذا فألتفت إليهم النبي (ﷺ)، هنا توقف بنا المطاف في اللقاء السابق قال لهم: يا قوم أقول لكم كلمه تملكون بها العرب وتدينكم بها العجم كلمه واحده بس تقولونها تملكون بها العرب تسودون بها العرب وتدين بكم العجم قال أبو جهل: كلمه واحده نعطيك ما شئت نقول عشر كلمات عشرين مائه ويحصل لنا هذا الفضل وهذه المنزلة وهذه المكانة فقال لهم: يا قوم قولوا لا اله إلا الله تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقاموا من عنده وهم غضبا وهم يقولون اجعل الآلهة اله واحده أدركوا أن هذا الكلمة ليس المراد بها التلفظ بها بالشفتين لا.. سينبني على التلفظ بها ترك كل ما يعبد من دون الله وصرف جميع أنواع العبادة لله والكفر بالطاغوت ولهذا أبو أن يقولوا لا اله إلا الله كانوا يعدون النبي (ﷺ) أن يقولوا هذه الكلمة ويقولون ما شاء لكن عندما قال لهم قولوا لا اله إلا الله قالوا اجعل الآلهة اله واحد أدركوا معنى هذه الكلمة لكن بعض الجهال من الأمة في هذه العصور المتأخرة وجد من يقول لا اله إلا الله ثم يقول يا فلان ارزقني يا سيدي فلان اشفي مريضي يقول لا اله إلا الله ويأتي بالكبش ويتقرب به ويذبحه لصاحب هذا الضريح يقول لا اله إلا الله ويستغيث بغير الله، يردد لا اله إلا الله، فاقتضى هذا الأمر من أهل العلم أن يستخلصوا هذه الشروط ويبرزوها للناس ليوضحوا لهم أن المطلوب ليس التلفظ بهذه الكلمة فقط بل هذه الكلمة لها شروط فهي نعم مفتاح الجنة لكن هذا المفتاح له أسنان وهذه الأسنان هي الشروط فما هي شروط لا اله إلا الله؟ شروطها سبعة:

١) العلم المنافي للجهل. أن يقول الإنسان لا اله إلا الله عالماً بمعناها (إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) شهد بالحق شهادة أن لا اله إلا الله وهم يعلمون اشترط العلم فاعلم أن لا اله إلا الله واستغفر لذنبك أيضا ثبت بصحيح مسلم من حديث عثمان رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال من مات وهو يعلم انه لا اله إلا الله دخل الجنة. اشترط ماذا؟ من مات وهو يعلم دخل الجنة فاعلم انه لا اله إلا الله واستغفر لذنبك (إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أما أن يقولها الإنسان وهو جاهل بمعناها، لا يعرف معناها فإنه لا ينتفع بها ولهذا اشترط أهل العلم على الأعجمي إذا أراد الدخول في الإسلام أن يتلفظ بهذه الكلمة ويترجم له معناها ليقولها وهو مدرك لمعنى هذه الكلمة إذن الشرط الأول العلم المنافي بالجهل فمن قال لا اله إلا الله جاهل بمعناها لم ينتفع بـ(لا اله إلا الله) لم يتحقق له الفضل الذي ترتب على هذه الكلمة لا بد أن يقول لا اله إلا الله معتقد انه لا معبود بحق إلا الله انه لا يستحق العبادة إلا الله إن العبادة جميعها يجب أن تصرف لله وحده هذا معنى لا اله إلا الله هذا هو العلم بـ(لا اله إلا الله) لهذا الرسول (ﷺ) قال من مات وهو.. مو يقول لا اله إلا الله !! وهو يعلم انه لا اله إلا الله دخل الجنة.

٢) اليقين المنافي للشك. ما معنى اليقين المنافي للشك؟ أن يقول الإنسان هذه الكلمة مستيقنا بها قلبه لا يعتريه أدنى شك أن هناك مخلوق يستحق العبادة أن هناك من يستحق العبادة غير الله عز وجل فإذا تطرق إلى قلبه شيء من الشك أن الولي الفلاني أو السيد الفلاني أو النبي الفلاني أو الملك الفلاني أو الجني الفلاني يجوز أو يمكن أن يصرف له شيء من أنواع العبادة لله عز وجل أو يحتمل قد يقول محتمل فيجوز أن تصرف له الدعاء إذا خالطه هذا الشك لم ينتفع بـ(لا اله إلا الله) ما لدليل على ذلك؟ قول الله عز وجل (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا) ما معنى لم يرتابوا أي لم يشكوا ولم يترددوا، ما عندهم أدنى شك أو تردد وفي الصحيحين عن النبي (ﷺ) لحديث أبي هريرة انه قال: اشهد أن لا اله إلا الله وان محمد رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك بهما إلا دخل الجنة. بشرط غير شاك فيهما، ماعنده تردد واضطراب، يقين تام انه لا معبود إلا الله إن العبادة لا يستحقها إلا الله. يقين مثل الشمس في رابعة النهار كما ذكرنا في الحلقات الأولى إن الإنسان يشك في بعض مسائل الأحكام في بعض المسائل العملية لا يضر لا يؤثر على أصل دينه قد يتردد الإنسان هل يجب الوضوء من أكل لحم الجزور أم لا هذا لا يضره، قد يتردد هل يضع اليدين في الصلاة على صدره أم تحت سرته أم يسبلها هذا لا يضر هذا الشك، هل هذا النوع من البيع يدخله الربا أو لا يدخله هذا الشك أو التردد لا يضر أصل دينه، لكن يشك ويتردد في كون هذا المخلوق ربما يجوز أن يصرف له شيء من أنواع العبادة هنا لا ينتفع بـ(لا إله إلا الله) وتختل عقيدته لو قال لك أنا عندي يقين تام انه ليس هناك احد يجوز أن تصرف له شيء من أنواع العبادة لكن النبي (ﷺ) أنا عندي شك ربما يجوز أن يدعى من دون الله عز وجل في طلب الشفاعة، في شفاء المرضى، فإذا حصل عنده هذا الشك ولو لم يعمل ولو لم يدعو النبي (ﷺ) ولو لم يدعو هذا المدعو من دون الله حصل عنده شك لم ينتفع بلا إله إلا الله.

٣) القبول المنافي للرد. ما معناه؟ بمعنى أن يقبل هذه الكلمة وما اقتضته هذه الكلمة يقبلها بلسانه وقلبه ولهذا ذكر الله أن المشركين ردوا هذه الكلمة وما قبلوها (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ) فمن الشروط اللازمة لأجل أن ينتفع الإنسان بهذه الكلمة أن يقبل بهذه الكلمة.

٤) الانقياد المنافي للشك. كيف؟ يعني ما يكفي أن يقبل هذه الكلمة بل لابد أن يأتي بمستلزمات هذه الكلمة ألا وهو الانقياد التام الاستسلام الكامل (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) لا يكفي أن يقول لا اله إلا الله ولا يمتثل أمر الله عز وجل وأمر رسوله (ﷺ) فأنت إذا اعتقدت يعني علمت وتيقنت وقبلت انه لا معبود بحق إلا الله فيجب عليك أن تنقاد لهذا المعبود فإذا أمرك بأمر أطعته وإذا نهاك عن شيء اجتنبته ولهذا قال الله (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) انقادوا استسلموا (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا) لابد من التسليم لابد من الانقياد (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) (وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) العروة الوثقى لا اله إلا الله من يسلم وجهه لله وهو محسن لابد من الاستسلام ولهذا من يقول لا اله إلا الله ويترك الصلاة هذا بواقع الأمر

لم يحقق لا اله إلا الله بشروطها الكاملة لأنه ما استسلم وانقاد لله ورسوله لما أمراه بأداء الصلاة الذي يقول لا اله إلا الله ويشرب الخمر أو يأكل الربا أو يقع بالزنا هذا عنده خلل بمعنى هذه الكلمة لم يحقق حقيقةً شروط لا اله إلا الله لأنه المفترض عندما قال لا اله إلا الله واعتقد جازما انه لا معبودا بحق إلا الله اجتنب كل ما نهاه الله عز وجل عنه عن هذه الأمور أنت الآن تعتقد انه لا معبود بحق إلا الله والمعبود الحق هو الذي يطاع فلا يعصى كيف تقول لا اله إلا الله وتعصيه تأكل الربا تقول لا اله إلا الله وتقع بالزنا تقول لا اله إلا الله وتشرب الخمر ! تقول لا اله إلا الله وتعتدي على أموال الناس؟ تقول لا اله إلا الله وتقع في أعراض الناس..! لم تحقق لا اله إلا الله التحقيق التام.

٥) الصدق المنافي للكذب. بمعنى أن يقول هذه الكلمة صادق من قلبه يوافق قلبه لسانه وان لا تكون حاله كحال المنافقين الذين قالوا لا اله إلا الله بألسنتهم وكذبت قلوبهم بذلك (الم {العنكبوت/١} أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ {العنكبوت/٢}) احسب أن يقولوا لا اله إلا الله وهم لا يفتنون سيفتنون بأنواع الفتن لماذا؟! (الم {العنكبوت/١} أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ {العنكبوت/٢} وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ {العنكبوت/٣}) (وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ) هذا حال المنافقين يقولون بألسنتهم آمنا يقولون لا اله إلا الله لكن قلوبهم مكذبه بذلك (إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) ثبت في الصحيحين أن النبي (ﷺ) قال: ما من احد يشهد أن لا اله إلا الله واني محمد رسول الله صادقا أو صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار.. اشترط النبي (ﷺ) هنا أن يكون صادقا من قلبه فإذا قال الإنسان هذه الكلمة وقلبه مكذب لهذه الكلمة لم ينتفع بلا اله إلا الله كحال المنافقين.

٦) الإخلاص المنافي للشرك. الإخلاص قد يقول قائل ما الفرق بين الإخلاص وبين الصدق ما الفرق بين شرط الإخلاص وشرط الصدق؟ نقول الإخلاص اخص من الصدق فقد يكون الإنسان صادق لكن ليس بمخلص معنى الإخلاص: أن تكون جميع العبادة لله وحده لا يخالطها شيء من الرياء ولهذا جاء في حديث عثمان رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) انه قال: (إن الله حرم على النار من قال لا اله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) إن الله حرم على النار من قال لا اله إلا الله فقط؟! لا. يبتغي بذلك وجه الله، لا يبتغي عرض من أعراض الدنيا، لا يبتغي سمعةً لا يبتغي رياءً، فالإخلاص شرط من شروط لا اله إلا الله والنبي (ﷺ) قال أيضا في حديث آخر صحيح (اسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا اله إلا الله خالصا من قلبه) لكن إذا قالها رياءً أو سمعةً فإنه لا ينتفع بهذه الكلمة وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)..(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) فالإخلاص شرط أساسي لانتفاع الإنسان بهذه الكلمة.

٧) الحب المنافي للبغض. حب هذه الكلمة وحب ما دلت عليه هذه الكلمة وحب أهل هذه الكلمة القائمين بشروطها الممتثلين لأوامرها المستسلمين لدلالتها (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ) فالحب شرط من شروط لا

اله إلا الله فهذا ما سيأتينا إن شاء الله لاحقا بموضوع مستقل بمعنى الولاء والبراء لكن هنا نشير إليه كشرط من شـــروط لا اله إلا الله ألا وهو الحب إذا من شـــروط لا اله إلا الله محبة هذه الكلمة، محبة أهلها، محبة ما دلت عليه، وبغض ما نافي ذلك وما ضاد ذلك فإذا حقق الإنسان هذه الشروط السبعة حقق لا اله إلا الله صدقاً وعدلا وانتفع بهذه الكلمة، وإلى هنا انتهى وقت هذه الحلقة ونكتفي بهذا القدر.

المحاضرة الرابعة عشرة

تقدم الكلام في اللقاء السابق عن معنى (لا اله إلا الله) وأركانها وشروطها وذكرنا إن لها سبعة شروط لا ينتفع الإنسان بهذه الكلمة وبما دلت عليه ولا يحصل على الفضل المرتب عليها إلا بعد أن يحقق هذه الشروط السبعة باقي عندنا نقطة

متعلقة بهذه الكلمة ألا وهي نواقض لا إله إلا الله. لا اله إلا الله يشترط في انتفاع صاحبها بها أن لا يرتكب ناقضاً من نواقضها، ونواقضها كثيرة كما أن الصلاة تبطل إذا فعل الإنسان ناقضا من نواقضها حتى وان كان لم يبقى عليه إلا التشهد الأخير فلنفترض إن الإنسان أدى صلاة كاملة بشروطها وأركانها وواجباتها وسننها، لما كان في التشهد الأخير أحدث، بطلت صلاته. كذلك عندنا من قال (لا اله إلا الله) ورددها وربما أتى ببعض شروطها لكنه ارتكب ناقضا من نواقضها افسد هذا الناقض ما تقدم من هذه الكلمة والأعمال المترتبة عليه لو افترضنا أن هناك إنسان صائم وقبيل غروب الشمس أكل عامداً ذاكراً، بطل صومه ولم ينتفع بهذا الصوم لم ينتفع بشي منه من أول النهار كذلك من قال (لا اله إلا الله) ووقع في ناقض من نواقضه.

فالنواقض نواقض (لا اله إلا الله): أي الأمور المفسدة لهذه الكلمة (لا اله إلا الله) هي تحقيق التوحيد، لا معبود بحق إلا الله هي توحيد العبادة هي توحيد الإلوهية، ولهذا معنى توحيد العبادة هو لا اله إلا الله ومعنى (لا اله إلا الله) هو توحيد العبادة، فإذا وقع الإنسان في ناقض من نواقض التوحيد فسدت عنده هذه الكلمة وبطلت هذه الكلمة ولم ينتفع بهذه الكلمة. اختلف أهل العلم أو لا أقول اختلف تنوعت عباراتهم في وضع ضوابط لنواقض هذه الكلمة فبعض أهل العلم ذهب إلى تعدادها وجعل هذه الأصول النواقض كما صنع الأمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه لما جعل نواقض الإسلام العشرة هي نواقض (لا اله إلا الله) الشرك بالله، الاستهزاء،.. إلى آخره، هناك بعض أهل العلم قال النواقض هي الشرك الأكبر، الكفر الأكبر، النفاق الأكبر، وما يلحق بهذه الأمور، بعض أهل العلم قال لا. ضوابط نواقض (لا اله إلا الله)، هناك نواقض متعلقة بالقلب بالاعتقاد، هناك نواقض متعلقة باللسان، وهناك نواقض متعلقة بالجوارح، وعلى كل حال الاختلاف هنا اختلاف تنوع واختلاف في ضابط المصطلح فقط وإلا الكل متفق على إن من وقع في شيء من هذه الأمور المنافية للتوحيد فقد وقع في ناقض من نواقض (لا اله إلا الله) لعلي اختصاراً اذكرها على سبيل الإجمال ولا افصل في ذلك مثلا أقول إن هناك نواقض متعلقة بالاعتقاد كمن اعتقد أن هناك هدي أكمل من هدي النبي (ﷺ)، وهذا ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نواقض الإسلام اعتقد إن هناك هدي أفضل من هدي النبي (ﷺ) وأحسن من هدي النبي (ﷺ)، أو من اعتقد بجواز صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل أو كمن اعتقد إن هناك من الخلق من الكهنة أو السحرة أو المشعوذين انه يعلم الغيب مع الله إذا اعتقد هذا الاعتقاد وقع في ناقض من نواقض لا اله إلا الله، من اعتقد إن هناك نبي بعد نبوة النبي (ﷺ) إن الرسالة لم تختم بالنبي (ﷺ)، هذا ناقض من نواقض لا اله إلا الله هناك نواقض متعلقة باللسان مثال ذلك، الاستهزاء بالله ورسوله أو بدينه لهذا قال سبحانه (قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) فهذا من نواقض (لا اله إلا الله) من سب الله عز وجل من سب الرسول من سب الدين، كل هذه نواقض متعلقة باللسان هناك نواقض متعلقة بالجوارح، ذكر بعض أهل العلم من صور ذلك لو مزق المصحف وداسه بقدميه فهذا العمل يناقض (لا اله إلا الله) وعلى كل حال، كل عمل يعتبر كفر اكبر متعلق بالجوارح هو من هذا النوع، وعلى كل حال نقول إن نواقض (لا اله إلا الله) منها ماهو متعلق بالقلب ومنها ماهو متعلق بالقلب ومنها ماهو متعلق بالجوارح، ومن ذلك الكفر الأكبر بصوره والشرك الأكبر بصوره كما سيأتينا إن شاء الله والنفاق الاعتقادي بصوره كل هذه الأمور مناقضه لـ(لا اله إلا الله) فمن وقع في شيء منها فقد ناقض (لا اله إلا الله) ولم ينتفع

بهذه الكلمة، هذا مجمل ما يتعلق بكلمة الإخلاص. لا اله إلا الله ذكرنا معناها، فضلها، أركانها، شروطها، نواقضها، ننتقل بعد ذلك إلى موضوع أيضا متعلق بتوحيد العبادة ألا وهو العبادة.

العبادة. ما المراد بها؟ نحن قلنا معنى لا اله إلا الله (لا معبود) بحق إلا الله لا معبود ضعوها بين قوسين ضعوا تحتها خطين لا معبود قلنا في تعريف توحيد الإلوهية صرف جميع أنواع العبادة لله أو إفراد الله بالعبادة، قد يسأل سائل.. ماهي هذه العبادة؟. ما ضابطها.. التي لا يتحقق توحيد الإلوهية ولا تتحقق (لا اله إلا الله) إلا بتحقيقه؟ يقال العبادة في اللغة: مأخوذة من الذل والخضوع.. يقال طريق معبد أي مذلل ذللته الأقدام نقول الآن للطريق المعبد مذلل ذللته المعدات ذللته السيارات وطئته فتذلل. أيضا الخضوع، عَبَدَ فلان هذا الشيء خضع له.

أما في الشرع: فإن العبادة لها معنيان، العبادة بمفهومها العام والعبادة بمفهومها الخاص. العبادة بمفهومها العام: أحسن من عرفها وأَجمعُ تعاريفها ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله عندما قال: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، يعني ليست العبادة بمفهومها العام هي فقط هذه الشعائر الظاهرة كما يفهمها بعض ضيقي الأفق، يعتقد إن العبادة فقط تذهب وتصلي وتخرج زكاة مالك وتحج وتصوم بس، لا.. العبادة أوسع من هذا. اسم جامع، كل عمل يحبه الله عز وجل ويرضاه فهو عباده. إذا ليست مقتصرة العبادة على هذه الشعائر الظاهرة. فأنت قد تزاول الأعمال التي في عرف كثير من الناس عادات لكن تستطيع أن تجعلها عباده إذا استحضرت النية الصالحة، فتأكل تسد رمق الجوع وتتعبد الله عز وجل بهذا الأمر يكون بالنسبة لك عباده، تاجر فيها. تنام ليأخذ جسمك قسطاً من الراحة الناس يأخذون هذا الأمر عادة أنت لا إذا استحضرت النية الصالحة تحول هذا العمل إلى عبادة، تخرج تطلب الصدق لأبنائك وأهل بيتك ويكون هذا عبادة، ولهذا شرعت الأذكار، نلاحظ إن الشارع الحكيم ربط كل عمل من أعمال الإنسان بذكر في اليوم والليلة خلال ٢٤ ساعة ليش؟ ليستحضر دائما النية الصالحة، فهناك ذكر لدخول المنزل ذكر لخروج المنزل، لبداية الأكل، للانتهاء من الأكل، للشرب، للانتهاء من الشرب للنوم للاستيقاظ من النوم، للبس الثوب، لركوب الدابة، لدخول الخلاء، لإتيان الأهل، إلى غيره، في الصباح، في المساء، كل هذه لها أذكار والسبب ليربط الإنسان كل أعماله بالله عز وجل وهذا من رحمة الله بنا أن لم يجعل العبادة لها مفهوم ضيق مفهوم خاص،، لا. طيب، ما الدليل؟ قد يقول قائل ما دليلكم على أن هذه الأعمال كلها يمكن أن تكون عبادة يأجر عليها الإنسان؟ الدليل على ذلك بين واضح، انتبه.. ماثبت في الصحيح أن النبي (ﷺ) قال (وفي بضع أحدكم صدقه) ما معني وفي بضع أحدكم صدقه؟ يعني أن يأتي الإنسان أهله يجامع أهله فيؤجر على هذا العمل يعتبر صدقه منه هذا العمل ولهذا تعجب الصحابة، يا رسول الله أيأتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر؟ يعني هذا أمر جميل أمر محبب للنفس.. العبادة فهم الصحابة رضي الله عنهم إن العبادة تحتاج دائما إلى مجاهده قالوا هذا شيء فطري أجابهم النبي (ﷺ) قال: (أرأيتم أن وضعها في حرام) وضع هذه النطفة في حرام (أكان عليه وزر؟ كذلك لو وضعها في حلال) فهذا من أعظم الأشياء التي يأتيها الإنسان يتلذذ بها ومع ذلك يأجر عليها فغيرها من باب أولى. دليل آخر.. النبي (ﷺ) قال (واللقمة تضعها في فِيّ امرأتك لك فيها أجر) كناية عن طلب الرزق، وذكر إن أفضل ما انفق الإنسان ما أنفقه على أهله. طيب هذا الأمر مباح لكن إذا استحضر الإنسان النية حول هذه العادة إلى عباده ولهذا قال أهل العلم:

عبادات المنافق عادات، المنافق يصلي ويصوم لكن في واقع الأمر هذه الأعمال عادات لأنه رأى الناس يصلون فصلى رأى الناس يصومون فصام، عكس المؤمن عاداته عبادات الأشياء التي يعدها سائر الناس عادات، لا.. هو يتقرب إلى الله بها يأجر عليها ولهذا يتقلب في العبادة صباح مساء ٢٤ ساعة وهو في عباده هذه هي العبادة بمفهومها العام. أما العبادة بمفهومها الخاص: فذكر بعض أهل العلم أنها ما أمر الله به من غير اقتضاء عقل ولا مفهوم عُرف. أمر الله به من غير ما يكون للعقل أو العرف في ذلك علاقة.. أمر الله بالصلاة فهي عباده، أمر الله بالزكاة فهي عباده، أمر الله ببر الوالدين فهي عباده، أمر الله بالصدقة على المساكين فهي عباده، أمر الله بترك الغيبة فهي عباده، تعبد الله عز وجل بترك الغيبة، أمر الله بترك أكل مال الحرام فهي عباده، أمر الله بترك أكل مال اليتيم فهو عباده، وهذه العبادات لا تخضع للمقاييس العقلية ولا للجوانب العرفية. مثال ذلك: رأى الحسن رحمه الله " الحسن البصري " رجلاً يتنفل بعد صلاة الفجر، والوقت بعد صلاة الفجر وقت نهي، لا تجوز الصلاة فيه، رأى هذا الرجل قائماً وهو يتنفل يصلي، يتعبد الله عز وجل بهذه العبادة الصلاة، فنهاه وزجره، فقال الرجل للحسن يرحمك الله أيعذبني الله عز وجل على فعل الصلاة؟ لا حظ هذا الرجل.. استخدم عقله، العبادات لا تخضع للمقاييس العقلية، بماذا أجابه الحسن: لا ولكن يسألك عن مخالفة السنة الرسول (ﷺ) نهاك ألا تصلي بعد صلاة الفجر. خلاص سمعت وأطعت.. آتي وأقول ليش ولماذا الصلاة أمر طيب ومحبوبة والله عز وجل أمرنا بها. لا خلاص، سمعنا واطعنا. ابن عباس رضي الله عنه رأى معاوية يستلم أركان البيت الأربعة فسأله ولما تستلم الأركان الأربعة "، ابن عباس توقع أن عنده أثارة من علم توقع أن لديه حديث من النبي (ﷺ) معاوية رضي الله عنه استخدم هنا عقله وقياسه قال: إني لا أحب أن يكون شيء من البيت مهجوراً لا أريد أن يكون شيء من أجزاء البيت مهجورا فقط يستلم الركنان اليماني والحجر الأسود. لا.. هو و الركنان الآخران. هاااه ماذا قال له ابن عباس، لا مجال للعقل هنا والاجتهاد هذه عباده، قال: أما أنا فلم أرى النبي (ﷺ) يستلم إلا هذين الركنين فلا استلم سواهما، تسنين.. عمر رضي الله عنه يقف أمام الحجر الأسود و يقول: والله إني لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع. حجر كسائر الأحجار ولولا أني رأيت رسول الله (ﷺ) يقبلك ما قبلتك أبدا. جميل.. يعني لو اخضع المسألة لعقله ما استحق هذا الحجر أن يخص بالتقبيل هو كسائر الحجر هنا لا.. تسنين لا مجال للعقل. لولا إني رأيت رسول الله، خلاص رأيت رسول الله سلمت ولهذا أمرنا الله عز وجل أن نؤدي صلاة المغرب على لسان رسوله ثلاث ركعات لا نأتي ونتصرف بعقولنا ونخضع هذه الأمور لعقولنا، بل حتى في السنن النبي (ﷺ) ذكر إن الإنسان يسبح في دبر كل صلاة ٣٣ لا نأتي بعقولنا نقول لا، ليه ما نكملها ٤٠ أو ننقصها ٣٠، ولهذا قال الخطيب البغدادي رحمه الله: النبي (ﷺ) لما ذكر هذا العدد ٣٣ لم يجعلها ٤٠ ولا ٣٠ صار العدد مقصودا لذاته، مافي مجال هنا للعقل هذه العبادة بمفهومها الخاص.

المحاضرة الخامسة عشرة

بدأنا موضوع العبادة وعرفنا العبادة بمفهومها العام الشامل وبمفهومها الخاص ونبدأ على بركة الله في هذا اللقاء بالحديث عن أقسام العبودية وذلك إن العبودية تنقسم إلى قسمين:

١_ عبودية عامه. ومقتضى هذه العبودية الملك والقهر، فالخلق جميعاً عبيداً لله عز وجل والدليل على هذا النوع قوله سبحانه (إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عبد ا) بمعنى الكل تحت ملك الله وتحت قهر الله وتحت سلطان الله عز وجل وتحت تصرف الله عز وجل ولا يمكن لمخلوق كان من كان أن يتخلف عن هذه العبودية أو يتمرد على هذه العبودية، الكافر والمؤمن الإنسي والجني كل من خلق الله عز وجل ما هم إلا عبيد لله هذا النوع الأول أو القسم الأول من أقسام العبودية (العبودية العامة) والتي مقتضاها أن يكون الجميع تحت ملك الله تحت تصرف الله تحت قهر الله وهذه لا يتخلف عنها احد، وليس للإنسان فيها حرية الاختيار ليس له أن يختار هذا الطريق أو لا يختاره.

٢_ عبودية الطاعة والامتثال وهذه خاصة بالمؤمنين الطائعين الممتثلين لأوامر الله المجتنبين لنواهيه والدليل على هذا النوع والأدلة على هذا النوع كثيرة منها قوله سبحانه (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ) (يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ) وهذه عبودية خاصة بأهل الإيمان، خاصة بالمطيعين وهي عبودية اختياريه، ولهذا.. التكليف والسؤال مناط بهذا النوع من أنواع العبودية، مقتضى هذه العبودية الطاعة الامتثال التسليم، والجزاء مرتب على هذا النوع من أنواع العبودية لماذا لان الإنسان مخير أن يسلك طريق العبودية لله عز وجل بهذا المفهوم أو أن يتمرد على عبودية الله فيكون عبد ا للشيطان أو عبد ا لهواه ولا شك أن كل ما ورد من النصوص من الثناء على العبودية يقصد بها العبودية الخاصة ولهذا قال الشاعر:

ومما زادني شرفا وتيها وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمدا لي نبيا

فالله عز وجل شرف المخلوق بهذه العبودية ولهذا وصف أكرم خلقه عليه وأحب الناس إليه الذي هو النبي (ﷺ) وصفه بهذا النوع من العبودية فقال (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى) لم يقول سبحان الذي أسرى برسوله أو بنبيه أو بحبيبه، لا سبحان الذي أسرى بعبده سماه ووصفه بهذا الوصف في أعلى مقامات التمدح والتكريم والتشريف ألا وهي ليلة الإسراء آية أخرى (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ) (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ) (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ) إذا هذه العبودية عبودية تشريف عبودية تكريم عبودية افتخار هذا ما يتعلق بأقسام وأنواع العبودية ننتقل بعد هذا إلى شروط العبادة.

شروط العبادة. العبادة بمفهومها الخاص لا تصح إلا بشرطين أساسيين فإذا تخلف احدهما فسدة هذه العبادة وبقدر الخلل الذي يحصل في احدهما تختل هذه العبادة.

الشرط الأول: الإخلاص لله عزّ وجلّ، ومعناها أن تكون العبادة خالصة لوجه الله عز وجل لا يراد بها إلا وجه الله. الدليل على هذا النوع (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ {غافر/١٤}) (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء) وفي الحديث الصحيح من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه، والإخلاص شرط أساسي في العبادة والعبادات تتفاضل عند الله عز وجل بقدر ما خالطها من هذا الشرط، لا تتفاضل بكثرتها ولهذا قال سبحانه (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ) ايش؟ انتبه.. ما قال ليبلوكم أيكم أكثر عملاً ، قال (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) قال الفضيل: أحسنه..

أصوبه وأخلصه، معناه أن يكون العمل خالصاً والدليل على أن الإعمال تتفاضل بقدر ما خالطها من هذا الإخلاص، سؤال عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري سؤالها النبي (ﷺ) حيث قالت: يا رسول الله عبد الله بن جدعان ذلك الرجل الكريم الشهم كان في الجاهلية يطعم الحجاج، بمعنى يتبرع من ماله فيبذل للحجاج (وفود الرحمن) يبذل لهم الطعام. هل ينفعه هذا العمل؟ قال (ﷺ) لا. لأنه لم يقول يوما من الدهر ربي اغفر لي خطيئتي يوم الدين. لم يكون هذا العمل لوجه الله عز وجل، لم يكون خالصا لوجه الله ولهذا لم ينتفع من هذا العمل بشيء (وَقَدِمْنَا إلى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا) في مقابل هذا النبي (ﷺ) ذكر البغي من بني إسرائيل، والبغي هي الزانية التي اتخذت الزنا حرفة تتكسب بفرجها، ذكر أن الله عز وجل غفر لها هذا الذنب العظيم لأجل أنها سقت كلبا.. يقول ابن القيم سقت حيوان، لم تسقي إنساناً ، حيوان من أخس الحيوانات، وذاك كان يطعم الحجاج وفود الرحمن. هذه المرأة غفر لها، العمل قليل العمل بسيط لكن الإخلاص الذي خالط قلبها كثر هذا العمل وباركه حتى غفر لها هذا الذنب العظيم بسبب هذا العمل القليل، ولهذا الإخلاص إذا خالط العمل القليل كثره وباركه وإذا نزع من العمل الكثير أفسده وأتلفه، فالأعمال عند الله عز وجل تتفاضل وتعظم وتكثر بقدر ما خالطها من الإخلاص، ولهذا قيل في أبي بكر الصديق رضي الله عنه والله ما سبقهم أي سبق الصحابة، لأنه ما طلعت الشمس ولا غربت كما قال النبي (ﷺ) على أفضل من أبي بكر وذكر إن الأمة لو وزن إيمانها بإيمان أبي بكر لرجح إيمان أبي بكر كل الأمة بس ليس فيهم النبي (ﷺ) بأي شيء سبق الصحابة وبأي شيء سبق الناس، قال بشيء وقر في صدره ألا وهو الإخلاص.. الإخلاص العظيم الذي عمر أبو بكر هو الذي أوصله إلى هذه الدرجة.

الشرط الثاني: المتابعة. أن تكون العبادة على وفق ما ورد عن النبي (ﷺ) ألا يتعبد الإنسان ربه بهواه أن لا يتعبده بقياسه ألا يتعبد الله عز وجل بالبدع يبتدع لنفسه بدعه ويتقرب إلى الله بها هذه لا ينتفع بها بل لابد أن تكون هذه العبادة على وفق ما ورد عن النبي (ﷺ) والدليل على ذلك ماثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) وفي رواية من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد أي مردود عليه، إذا لا بد أن يكون العمل على مقتضى ما ورد عن النبي (ﷺ) و أن يلتزم الإنسان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في هذه العبادة ولهذا لعلي ذكرت في حلقة سابقه أن الخطيب البغدادي رحمه الله قال: النبي (ﷺ) عندما حدد الذكر دبر كل صلاة ٣٣ لم يجعلها ٤٠ ولم يجعلها ٣٠، دل على أن العدد مقصود لذاته، فعلى المؤمن أن يلتزم العدد، إذا العبرة ليست بكثرة العدد بقدر ماهي بموافقة السنة فلو جاءنا إنسان وسبح دبر كل صلاة ٣٣ أفضل من إنسان سبح الله عز وجل ٧٥. أيهما أكثر؟ الذي سبح ٧٥ بينما الأقل الذي سبح ٣٣، فالأفضل الذي التزم ٣٣. النبي (ﷺ) لما سن مثلا نافلة الفجر ركعتين، لو جاء إنسان وتنفل بست ركعات الذي تنفل بركعتين أفضل من الذي تنفل بست ركعات وان كان ذاك أكثر فالعبرة ليست بكثرة العمل بقدر ما أن يكون العمل موافقاً لهدي النبي (ﷺ) بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ولذا الثلاثة نفر كما في صحيح البخاري لما جاءوا إلى عائشة رضي الله عنها يسألونها عن عبادة النبي (ﷺ) فلما ذكرت لهم ذلك كأنهم تقالوها. نعم.. قال احدهم: أما أنا فأصوم ولا افطر.. وقال الآخر: أما أنا أقوم ولا أنام.. وقال الثالث: أما أنا فأعتزل النساء.. هؤلاء يريدون أن يتعبدوا إلى الله عز وجل بالأعمال المتواصلة، لما سمع النبي

(ﷺ) بخبرهم، خطب الناس وقال أنا والله اتقاهم لله وأخشاهم لله وأعلمهم لله واني لأصوم وافطر واصلي وأنام وأتزوج النساء ومن رغب عن سنتي فليس مني، فالعبرة ليست بكثرة العمل إذا الشرط الثاني: المتابعة.. متابعه النبي (ﷺ).

النقطة الثالثة المتعلقة بالعبادة: أصول العبادة.

العبادة لها أصول ثلاثة. ١_ كمال المحبة ٢_ كمال الخوف.٣ـــ كمال الرجاء، أن يعبد الإنسان ربه محبة لله عز وجل ورجاءً في ثوابه وخوفاً من عقابه، وان يكون المؤمن في عبادته بين هذه الأصول الثلاثة ولهذا ابن القيم مثل رحمه الله هذه الأصول الثلاثة قال: كمثل جناحي الطائر ورأس الطائر. فالرأس يمثل المحبة فإذا قطع الرأس مات الطائر وسقط وهكذا العبادة المجردة عن محبة الله عز وجل، الجناح الثاني يمثل الخوف،والجناح الآخر يمثل الرجاء، فإذا اختل احد الجناحين اختل طيران الطائر فإذا ضرب الجناحان سقط الطائر كذلك المؤمن يكون بين الخوف والرجاء (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا) أنهم كانوا يسارعون في الخيرات (بحق الأنبياء) ويدعوننا رغبا ورهبا... رغبا فيما عند الله ورهبا خوفا من الله عز وجل،، (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا) الطمع هو الرجاء، لكن ذكر أهل العلم انه حال الحياة وحال الصحة وحال القوه على المؤمن أن يغلب جانب الخوف ليكون هذا ادعى في كثره العمل والحرص على اجتناب المحرمات، إذا حضرت وفاة الإنسان عليه أن يغلب جانب الرجاء لان ليس له الآن من الأعمال التي يستطيعها إلا الرجاء والنبي (ﷺ) يقول لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه والحديث الآخر أنا عند حسن ضن عبدي بي فليضن ما شاء.. لكن ينبغي أن يتنبأ إن حسن الظن هنا وسوء الظن بالله عز وجل عمل قلب وأعمال القلوب مبنية على إعمال الجوارح فإذا لم يكن الإنسان قد قدم بين يديه حال الصحة وحال الفراغ أعمال حسنه، لو أراد حتى أن يحسن ضنه بالله في تلك اللحظات واقع حاله وواقع أعماله قد لا يسعفه على ذلك ولهذا ينبغي للمؤمن أن يقدم في حال الصحة وحال القوه الأعمال التي تكون سببا لحسن ضنه بربه إذا حضرت وفاته وقرب اجله.

أنواع العبادة. العبادات باب واسع وكثيرة وقد يصعب حصرها وهذا كما ذكرت في الحلقة السابقة من رحمة الله عز وجل انه لم يقصر العبادة على باب محدد فيكون هذا فيه ضيق وحرج على العبد فأبواب الجنة كثيرة وقد قسم ابن القيم والعلماء بعده العبادة إلى أنواع يعني لا يمكن حصرها بعدد لكن يمكن تصنيفها إلى أنواع.

النوع الأول: العبادات ألاعتقاديه وهي المتعلقة بالاعتقاد اعتقاد القلب مثل الإيمان بالله مثل الإيمان بالرسل والإيمان باليوم الآخر هذه عبادات اعتقاديه متعلقة بالاعتقاد، اعتقاد مثلاً الكمال لله عز وجل انه متصل بصفات الكمال اعتقاد انه منزه عن صفات النقص هذه عبادات اعتقاديه يؤجر الإنسان على هذا الاعتقاد ويكون عابدا لله عز وجل إذا تضمن قلب هذا الاعتقاد الصحيح.

النوع الثاني: عبادات قلبيه بمعنى متعلقة بالقلب مثل المحبة، محبة الله عز وجل محبة المؤمنين، مثل الرجاء مثل التوكل، كل هذه عبادات قلبيه لا علاقة لها بالجوارح علاقتها بالدرجة الأولى بالقلب، فالمحبة عمل قلبي الرجاء عمل قلبي، الخوف عمل قلبي، التوكل عمل قلبي صِرف، فهذه عباده يتقرب الإنسان بها لله عز وجل.

النوع الثالث: العبادات القولية المتعلقة بماذا؟. باللفظ. مثل الاستغفار مثل قول لا اله إلا الله أفضل الذكر، مثل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، نعم مثل سائر الأذكار لا يزال لسانك رطبا بذكر الله)، وهناك عبادات بدنيه متعلقة

بالجوارح بالبدن مثل: الصلاة، الصيام، الجهاد، الشاهد أنها متعلقة بماذا.؟ بالجوارح بالبدن.

النوع الرابع والأخير: العبادات المالية المتعلقة بالمال، مثل الزكاة، الزكاة عباده ماليه صرفه، فإذا بذل الإنسان من ماله زكاة متعبد ا بالله عز وجل بهذا الأمر اجر عليها وصار هذا عباده، كذلك الصدقة على وجه العموم، الزكاة اخص من الصدقة،، الصدقة نافلة أما الزكاة فرض لكن كلاهما عبادة ماليه هناك بعض العبادات يعني قد يكون هناك تداخل بين العبادات.. نحن إذا قلنا هذه عباده قلبيه وهذه عباده اعتقاديه وهذه عباده مثلاً قوليه، لا يعني أن هناك انفصال تام لا قد يكون هناك تداخل بل الأصل التداخل في العبادات، فالعبادات البدنية لا تصلح مالم يصاحبها عبادات قلبيه اعتقاديه، هناك عبادات تجمع بين المال والبدن مثل الحج، الحج عباده ماليه بدنيه، لان فيها بذل المال فيها هدي فيها نفقه وبدنيه فيها سعي فيها إحرام فيها وقوف فيها مبيت فيها طواف ويدخل فيها أيضا قوليه لان فيها ذكر في القول مثل التلبية شعار الحج، الأضحية. الأضحية تجمع بين المال وبين البدن، هذا ما يتعلق بالعبادة وأنواعها وشروطها وأصولها وللحديث بقية.

المحاضرة السادسة عشرة

ما يناقض التوحيد أو ينافي كماله

نواقض التوحيد أو ما ينافي كماله هي كالآتي:

أولاً الكفر: وإذا قلنا ما يناقض التوحيد بمعنى ما يخرج الإنسان من دائرة الإيمان دائرة الإسلام دائرة التوحيد إلى دائرة الكفر. وإذا قلنا ما ينافي كماله: أن يبقى الإنسان في دائرة الإسلام يعني ما يخرج بهذا العمل أو هذا الاعتقاد أو هذا القول عن دائرة الإسلام لكن يكون إيمانه ناقص لأنه ينافي كمال الإيمان فينقص إيمانه بقدر ما ارتكب من هذا العمل كما سيأتي بإذن الله.

الكفر في اللغة: المقصود به التغطية والستر. ولذا سمي الزارع في اللغة العربية بالكافر لأنه يستر الحد تحت الأرض وسمي الكافر كافرا (لأنه يستر الحق ويظهر الكفر والجحود) الحق يكون موجود بقلبه إما بالفطرة الأصلية أو يعرف هذا الحق بما أيد الله رسله وأنبياءه من البراهين والحجج ولكنه يستر هذا الأمر ويظهر الجحود وسمي الكافر كافرا لهذا السبب الكفر اصطلاحاً: فيختلف باختلاف أقسامه لأنه ينقسم إلى قسمين، كفر أكبر وإن شئت فقل كفر أكبر اعتقادي والثاني كفر أصغر عملي.

الكفر الأكبر هو ألاعتقادي: المخرج عن دائرة الإسلام وله أنواع:

١- كفر التكذيب والجحود

٢- كفر الإيباء والاستكبار

٣- كفر الأعراض

٤- كفر الشك

٥- النفاق

كفر التكذيب والجحود: هو اعتقاد كذب الرسل وجحد ما معهم من الحق. أي يقابل الإنسان الرسل بالتكذيب ويجحد ما معهم من حق كما حصل من كفار قريش اتجاه النبي (ﷺ) لما جاءهم بهذا الدين جحدوا ما معه من الحق وكذبوه فلهذا كفرو قال تعالى (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُ) جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم قال أنا رسول الله فقالوا أنت كذاب لست برسول، أمرهم بالتوحيد فكذبوه وجحدوا ما جاء به، أخبرهم أن هناك يوم يجازى المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته فكذب بعضهم بهذا الشيء ويقول سبحانه (فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ).

النوع الثاني كفر الإيباء والاستكبار: أي يتلقى أمر الله وأمر رسوله فيستكبر عليهما ويأبى قبولهما لا جحدا وإنكارا وتكذيبا بل استكبار مثال ذلك ككفر إبليس عليه لعنة الله ولهذا قال سبحانه (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) ومثله أيضا كفر فرعون عليه لعنة الله قابل رسالة موسى عليه الصلاة والسلام بالإيباء والاستكبار... ومثاله أيضا كفر هرقل عظيم الروم دخل الإيمان قلبه وأيقن لما خاطب أبا سفيان قال إن كنت صادق، ليملك موضع قدمي هاتين، فلما سأله عدة أسئلة أيرجع من يتبعه هل هل.. الخ أخبر أن هذه صفات نبي ولا يتصف بها إلا رسول، فأراد الإسلام ولكن منعه المنصب واستمر بكفره واستكبر على طاعة الله عز وجل، قال تعالى عن بعض الكافرين (فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ {البقرة/٨٩}).

النوع الثالث كفر الإعراض:وهو أن يعرض بقلبه وسمعه عن الرسول (ﷺ) لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه يعني كما يسمى بلغة العصر يقف موقف الحياد. يعرض لا يؤمن ولا يكذب هذا كفر أكبر مخرج عن الملة قال سبحانه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ) ومن هذا النوع كفر أحد بني عبد ياليل لما عرض عليه النبي (ﷺ) الإسلام ماذا قال له قال والله لأقول لك كلمة إن كنت صادق فأنت أجل بعيني من أن أرد عليك وإن كنت كاذب فأنت أحقر من أن أكلمك فقام وانصرف، هذا النوع يسمى عند أهل العلم كفر الإعراض.

النوع الرابع هو كفر الشك: وهو قريب من الإعراض لكن الإعراض لا ينظر في الأدلة ولا ينظر في الحق بل يعرض مباشرة ومن هذا النوع إذا جاءه الحق ودعي إلى الإسلام وتعلم الإسلام قال أنا لا أريد التعلم لأجل أن لا تقوم عليه الحجة خلاص أنا أكتفي بالجهل هذا نوع من أنواع كفر الإعراض ولهذا لا يصلي لا يزكي لا يصوم يقول خلاص أنا جاهل معذور إذا أتي إليه وطلب منه أن يتعلم الإسلام وشرائع الإسلام أبى وأعرض فهل يعذر بهذا الإعراض الجواب طبعا لا، فبهذا العمل كفر وليس بجاهل، الجاهل هو الذي لا يستطيع أن يتعلم ولا يتأتى له أن يتعلم ولا يمكن لمثله أن يتعلم هذا هو الجاهل كحال الذين عاشوا بالفترة في فترة ما بين رسولين لم يدركوا الرسول السابق ولم يلحقوا الرسول اللاحق فهؤلاء يعذرون بالجهل، أو إنسان يعيش في مجاهل في أماكن بعيدة منقطعة عن العالم ولم يسمع بالحق ولم يأتي من يدعوه إلى الإسلام، ولكن إنسان يعيش بين المسلمين ويعرض عن تعلم الإسلام بحجة أنني أكتفي بالجهل وأعذر بالجهل فيقال له لا هذا كفر الإعراض عرضت الآن بقلبك عرضت بسمعك، **النوع الرابع كفر الشك**، وهو ألا يجزم بصدق الرسول ولا بكذبه ولهذا قال سبحانه(وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) فإذا بقي الإنسان في شك لا يجزم بأن هذا لرسول كاذب ولا أنه صادق فهذا يسمى كفر الشك، مثل فعله من شك في أمر معلوم من الدين للضرورة مثل ختم النبوة بالنبي (ﷺ) يقول والله أنا عندي شك وتردد يمكن الرسالة لا زالت، يمكن فلان الذي ادعى النبوة يكون صادق أرسله الله عز وجل، ما أنا جازم بأن الرسالة انقطعت بموت (ﷺ)، هذا يسمى بكفر الشك أو شك مثلا بوجوب الصلاة قال والله صحيح أنا أقول الصلاة مستحبة وطيبة والنبي (ﷺ) أمر بها، لكن من قال لكم بأنها فرض وأنها واجبة فهي كسائر النوافل عبادة محبوبة لله عز وجل إن فعلها الإنسان أجر عليها وإن تركها لم يحاسب على ذلك فشك في فرضية الصلاة، فرضية الصلاة أمر معلوم من الدين بالضرورة، فمن وصل إلى هذه الدرجة كفر إلا بحالة واحدة أن يكون حديث عهد بالإسلام أو يكون مثله جاهل ويعذر بالجهل.

النوع الخامس النفاق: سيتم ذكره لاحقا

الكفر الأصغر أو يسمى الكفر العملي:وهو ما ورد من الذنوب تسميته أو ما وردت النصوص الشرعية بإطلاق الكفر عليه ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر.ر أو ما ورد من الذنوب تسميته كفرا ولم يصل إلى حد الكفر الأكبر، إن هناك بعض الذنوب والمعاصي بعض الكبائر أطلق عليها الشارع الحكيم مسمى الكفر لشناعتها وعظمها لكن لما طبق أهل العلم عليها تعريف الكفر الأكبر أو صور الكفر الأكبر وجدوها لا تنطبق أيضا لما نظروا إلى أدلة أخرى وجدوا أن هذا العمل لا يخرج صاحبه من دائرة الإسلام ولهذا سمو هذا النوع الكفر الأصغر أو الكفر العملي مثال: قول النبي (ﷺ) (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) وقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)

الآن النبي صلى الله عليه وسلم أطلق على قتل المسلم وقتال المسلم مسمى الكفر ولو قال قائل لماذا لا تحملون هذا القول على الكفر الأكبر المخرج عن الملة كما صنعوا الخوارج قالوا هذا لفظ كفر إذا مخرج عن دائرة الإسلام، لذلك عندهم أن من ارتكب كبيرة كقتل مسلم خرج عن دائرة الإسلام فلو قال قائل لماذا لا تحملون هذه النصوص على الكفر الأكبر قال الرسول صلى الله عليه وسلم (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)

الجواب:

أن الله عز وجل ذكر في آية أخرى ووصف القاتل بالإيمان قال تعالى (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ) وإن طائفتان من المؤمنين سماهم بالإيمان فلو كان قتل المسلم كفر مخرج عن الملة ما سما هؤلاء مؤمنين كيف يقتلون المؤمنين ويسمون مؤمنين، والآية الأخرى (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ) قال في حق القاتل سماه أخا للمقتول فلو كان القتل كفرا أكبر مخرج عن الملة ما سمي القاتل أخا للمقتول من الأمثلة أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) هذا أيضا كفرا أصغر كفر متعلق باللفظ فكفر الإنسان إنسان آخر مسلم فقد باء بها أحدهما إذا كان هذا الشخص ليس بكافر عادت إلى صاحبها الذي تلفظ بها لكن هل يخرج عن دائرة الإسلام؟ لا لأنه كفرا أصغر، أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم (ثنتان في أمتي هما بهما كفر النياحة والطعن في النسب) هذه الأعمال سماها النبي (ﷺ) كفرا لكن ليست كفرا أكبر مخرج عن الملة ولهذا جعلنا هذه الأعمال ضمن القسم الثاني الذي هو الكفر الأصغر.

عرفنا الآن الكفر الأكبر أو الاعتقادي والكفر الأصغر أي الكفر العملي ولكن ما الفرق بينهما؟

الفرق هو:

تسلسل	الكفر الأكبر –الكفر الاعتقادي	الكفر الأصغر – الكفر العملي
١	مخرج من الملة	لا يخرج من الملة
٢	يحبط جميع الأعمال	لا يحبط جميع الأعمال
٣	يخلد صاحبه بالنار	لا يخلد صاحبه بالنار

بالجدول أعلاه الفروق بشكل عام ولكن هنا شيء من التفصيل:

الفرق الأول: أن الكفر الأكبر يخرج عن الملة يعني يخرج صاحبه عن دائرة الإسلام إذا ارتكب هذا العمل فعلى هذا العمل اعتقد هذا الاعتقاد خرج عن دائرة الإسلام بخلاف الكفر الأصغر فإنه لا يخرج عم الملة يبقي صاحبة في دائرة الإسلام يبقى مؤمنا ولكنه ناقص الإيمان الفرق الثاني: أن الكفر الأكبر يحبط جميع الأعمال مهما عمل الإنسان وعبد الله عز وجل ولكن ارتكب كفرا أحبطت أعماله وفسدت أعماله، فالكفر أحيانا مثل المادة الكيماوية التي تضعها بإناء ملئ بالماء فيتبخر هذا الماء أو المادة المتعفنة التي قد تضعها في كأس من الماء فتفسد هذا الماء هكذا حال الكفر الأكبر بخلاف الكفر الأصغر إنه لا يحبط جميع أعمالة يبقى الإنسان ينتفع بأعماله الأخرى كالصلاة والصيام والحج تبقى هذه الأعمال

معه لا تفسد بقية الأعمال الفرق الثالث: أن الكفر الأكبر يخلد صاحبة بالنار إذا مات على هذا الكفر من غير توبة فهو خالد مخلد بالنار حكمه حكم الكفار خلاف الذي ارتكب كفرا أصغر لا يخلد صاحبة بالنار يبقى هذا العمل الذي يسمى كفر يبقى ذنب ومعصية ولهذا يدخل يوم القيامة في سائر الموازنات توازن حسناته مع سيئاته فهي سيئة كسائر السيئات فإذا رجحت حسناته دخل الجنة وإن رجحت سيئاته فربما غفر له وأدخل الجنة أو أدخل النار فطهر لكن مآله إلى الجنة لكن لو كان هذا الكفر كفرا أكبر لما خرج من النار لا بشفاعة الشافعين ولا برحمة أرحم الراحمين لأن رحمة الله عز وجل لا تنال الكفار هذه هي الفروق الثلاثة التي نستطيع أن نفرغ بها بين الكفر الاعتقادي الأكبر والكفر العملي الأصغر.

ننتقل بعد ذلك إلى الشرك الناقض الثاني من نواقض التوحيد.

الشرك لغة: مأخوذ من الشراكة وهو ما كان بين اثنين فأكثر ومنه قوله سبحانه (وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) هنا القائل موسى يطلب من الله عز وجل أن يشرك هارون معه في الرسالة وفي إبلاغ ما طلب الله عز وجل أن يبلغه إلى فرعون قال وأشركه في أمري أي اجعله شريكا لي بالرسالة إذا الشرك مأخوذ من الشراكة

الشرك اصطلاحا: أيضا كما قلنا بالكفر سواء بسواء يختلف باختلاف أنواعه إذ الشرك قسمان شرك أكبر وشرك أصغر.

الشرك الأكبر تعريفه: هو تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله بمعنى أن يسوي الإنسان غير الله بالله في الشيء الذي يختص به الله عز وجل،

المحاضرة السابعة عشرة

مثال ذلك: العبادة من خصائص الله؟ الدعاء من خصائص الله؟ خاصة بالله من خصائص الله عز وجل فإذا دعا الإنسان غير الله عز وجل فقد جعل هذا الغير مساويا لله عز وجل وهذا هو الشرك الأكبر، الخلق من خصائص من؟ من خصائص الربوبية بمعنى لا يخلق إلا الله لا خالق إلا الله فإذا اعتقد الإنسان أن ذلك المخلوق له القدرة على الخلق أو له القدرة على الرزق أوله القدرة على الإحياء والإماتة أو له القدرة على النفع والضر فقد ساوى هذا الغير بالله في هذه الأمور الخاصة بالله فيكون قد وقع بالشرك إذا تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله المشبه الذي جعل صفة الخالق كصفة المخلوق هو ساوى غير الله بالله بالشيء الذي يختص به الله عز وجل هذه الأسماء خاصة والصفات خاصة بالله عز وجل السمع سمع خاص بالله عز وجل البصر خاص بالله عز وجل لا يختص به إلا هو سبحانه فإذا جُعِل المخلوق مساويا لله فقد جُعِل شريكا لله عز وجل.

خطورته لاشك أن أعظم ذنب عصي به الله تعالى هو هذا الذنب (الشرك بالله) ولهذا جاء في الحديث (ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم جئتني لا تشرك بي شيئا غفرت لك ذلك ولا أبالي) وقد أخذ الله عز وجل على نفسه ألا يغفر لصاحبه أما ما دونه من الذنوب فهو تحت المشيئة (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء) الله عز وجل حرم الجنة على من ارتكب هذا الذنب ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ولهذا صار أعظم ذنب عصي به الله عز وجل هو هذا الذنب لماذا؟

ج: لأن فيه صرف خالص حق الله لغيره وتسوية غيره به سبحانه وتعالى وفي حديث طارق بن شهاب (أن رجلا دخل النار في ذبابة لما قرب ذبابة لغير الله) لا ينظر إلى هذا الأمر إلى صغر العمل وإنما إلى أصل العمل والتقرب لغير الله عز وجل وقد ذكرت سابقا أن الله ذكر عن حال رهبان النصارى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ {الغاشية/٢} عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ {الغاشية/٣} تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً) لماذا؟ لأنهم صرفوا العبادة لغير الله عز وجل، هذا الذنب خطير ولهذا أدى الله به عز وجل وأعاد وفصل وأوجز في كتابه والنبي (ﷺ) حذر منه أشد التحذير بل لم يحذر أمته بشيء كما حذرهم عن هذا الذنب حتى حرم وحظر كل طريق ربما يفضي إلى هذا الذنب وجاء في الشرع بما يسمى بوسائل الشرك، الوسيلة الشيء المفضية إلى الشيء فأصل الوسيلة جائز لكن لما كانت ربما تفضي إلى هذا الذنب حرمها الشارع الحكيم مثال ذلك البناء على القبور وإسراج القبور وتعظيم القبور وتعظيم المخلوق أو الغلو بالمخلوق، قد لا يكون في أصل هذا العمل شيء لكن لما كان ربما يفضي ويوصل إلى هذا الذنب حرمه سبحانه وتعالى وحذر منه والنبي (ﷺ)، هذه بعض الوجوه المبينة لخطورة هذا الذنب ولهذا ذكر والنبي صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ (أتدري ما حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيء) هذا حق الله عز وجل الحق الأعظم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيء ويتقربوا إليه بالعبادة وحده لا شريك له، ولعلنا ذكرنا جزءا من ذلك لما تكلمنا عن فضل لا إله إلا الله، إن الوقوع في هذا الذنب الذي هو الشرك المناقض للتوحيد الذي هو الشرك الأكبر بدل أن يكون هذا الإنسان محرم الدم محرم المال محرم العرض يكون حلال الدم وعصمة دمه لا تكون إلا بأمر آخر كمثل المعاهد بسبب العهد صاحب الذمة لكن المؤمن اكتسب الحرمة بالإيمان لما قال لا إله إلا الله ودخل دائرة التوحيد حرمه، صور الشرك الأكبر كثيرة ولعلي أذكر على سبيل التمثيل فقط بعض صور توحيد العبادة وتوحيد الإلوهية، دعاء غير الله عز وجل عبادة صرفت لغير الله فتكون شركا أكبر في التوحيد فمن دعا ملكا أو

نبيا أو وليا أو جنيا أو شـجرا أو حجرا دعاهم من دون الله خرج عن دائرة الإسـلام ولهذا قال تعالى (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْـتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَـيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) وقال والنبي صـلى الله عليه وسـلم (الدعاء هو العبادة) فمن صور الشرك الأكبر أن تدعو غير الله أيا كان هذا المدعو كائنا ما كان، من صور الشرك في توحيد العبادة الذبح لغير الله، أن تذبح لغير الله متقربا لهذا الغير سـواء ذبحت جملا أو بقرة أو شـاة أو دجاجة.... لا عبرة بالشـيء المذبوح وحجم الشيء المذبوح إنما العبرة التقرب بالذبح والدليل أن الذبح عبادة فإذا صرف لغير الله صار شركا أكبر، قال تعالى (قُلْ إِنَّ صَـلاَتِي وَنُسُـكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {الأنعام/١٦٢} لاَ شَـرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْـلِمِينَ) (فَصَـلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ) وفي حديث علي (لعن الله من ذبح لغير الله) وهكذا سـائر العبادات الخوف والرجاء والمحبة كل هذه عبادات إذا صرفت لغير الله صارت شركا فهذه بعض صور الشرك في توحيد العبادة.

صور في شرك توحيد الربوبية أن تصرف شيئا من خصائص الربوبية لغير الله كأن تعتقد بأن هناك خالق مع الله أو تعتقد بأن هناك نافع مع الله أو ضار مع الله الشرك في الإلوهية أن تجعل مخلوقا مساويا لله عز وجل في شيء من أسمائه أو صفاته.

القسم الثاني من أنواع الشرك وهو الشرك الأصغر تعريفه: ما ورد من الذنوب تسميته شركا ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر، هناك بعض الذنوب أطلق عليها الشارع الحكيم مسمى شرك كما سيأتي في الأمثلة التالية لما طبق عليها أهل العلم تعريف الشرك الأكبر وجدوا أن هذا التعريف لا ينطبق عليه.

مثاله: الحلف بغير الله إذا لم يقارن هذا الشيء باعتقاد أن هذا الشيء المحلوف به له العظمة كما لله إنما هو مما جرى على اللسان كالحلف بالنبي أو الحلف بالحياة أو الحلف بالأمانة أو الحلف بالكعبة فهذا شرك أصغر والدليل على ذلك قول والنبي صلى الله عليه وسلم (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) هذا سماه أهل العلم شرك أصغر وهو ما يجري على اللسان أما إذا صاحب هذا الأمر تعظيم هذا الشيء المحلوف به تعظيما يوصله إلى درجة الإلوهية فهذا ينتقل من الشرك الأصغر إلى الشرك الأكبر.

المثال الثاني هو يسير الرياء الشيء اليسير من الرياء إذا خالط العمل هذا يسمى شركا أصغر والدليل قول والنبي (ﷺ) فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى (من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)وقوله (إن الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل) وفي حديث آخر (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفي يقوم الرجل فيزين صلاته لما يراه من نظر الرجل إليه) لكن قلنا يسير الرياء أو قيدنا الرياء باليسير لأن الرياء إذا كثر وأتى على كثير من الأعمال نقل الإنسان من الشرك الأصغر إلى النفاق، لكن إذا الإنسان أصل أعماله كلها لله عز وجل وأصل هذه العبادة لله عز وجل التي أراد أن يتقرب بها إلى الله كهذه الصلاة أو هذا الصيام ولكن أثناء أداء هذه العبادة غلبه الشيطان وغلبه الهوى فطرأ عليه الرياء وهذا هو يسير الرياء وهو الشرك الأصغر مثال للتوضيح دخل رجل يريد أن يصلي صلاة الظهر لله عز وجل فلما كبر رأى نظر الناس إليه فبدأ يزين صلاته أيضا من أنواع الشرك الأصغر قول ما شاء الله وشئت والدليل على ذلك(أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما شاء الله وشئت فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال أجعلتني لله ندا ما شاء الله وحده) وكل لفظ جاء بالواو المقتضية للمشاركة فهو من هذا الباب مثاله: لولا الله وأنت، لولا الله ورجال الأمن، لولا الله وفلان، ومثاله: أنا بالله وبك، لأن هذا يقتضي المشاركة بين

اثنين إذن ما البديل، البديل أن تأتي بثُم المقتضية للترتيب والتراخي وليس بدرجة واحدة مثاله: لولا الله ثم أنت، ما شاء الله ثم شئت، أنا بالله ثم بك هذه هي بعض صور الشرك الأصغر.

ما الفرق بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر؟

تسلسل	الشرك الأكبر	الشرك الأصغر
١	مخرج من الملة	لا يخرج من الملة
٢	يحبط جميع الأعمال	لا يحبط جميع الأعمال
٣	يخلد صاحبه بالنار	لا يخلد صاحبه بالنار
٤		

بالجدول أعلاه الفروق بشكل عام ولكن هنا شيء من التفصيل: وهناك فرق رابع

الفرق الأول: الشرك الأكبر يخرج صاحبه من الملة فإذا وقع الإنسان في الشرك الأكبر خرج عن دائرة الإسلام إلى دائرة الشرك بخلاف الشرك الصغر يبقي صاحبه مؤمنا ناقص الإيمان، ينقص الإيمان بقدر هذا الشرك اليسير.

الفرق الثاني: الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال بخلاف الشرك الأصغر فإنه لا يحبط إلا العمل الذي خالطه فقط أما بقية الأعمال تبقى لصاحبها مثال الشرك الأكبر لو افترضنا أن هذا الرجل صائم مصلي متصدق حاج لكنه يذبح لغير الله أو يستغيث لغير الله أو يدعوا غير الله عز وجل هل تنفعه هذه الأعمال؟ الجواب طبعا لا، قال تعالى(وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا)لأنه خالطها الشرك أفسدها لهذا قال سبحانه (وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا {النساء/٤٨}) (وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا {النساء/١١٦}) ومثال الشرك الأصغر: لو الإنسان وقع في شيء من الرياء في هذه العبادة لن تفسد كل أعماله بل يفسد العمل الذي خالطه هذا الرياء فقط وبقدر ما خالطه، إن غلب عليه أفسده كله وإن طرأ ثم دافعه الإنسان قالوا أهل العلم صح إنشاء الله أصل عمله لكن تبقى الأعمال الأخرى من صلاة وصيام وحج وصدقة له وينتفع بها.

الفرق الثالث: الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار فقد حرم عليه الله الجنة قال تعالى(ومن يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة إن الله لا يغفر أن يشرك به) بمعنى أنه خالد مخلد بالنار إذا مات على الشرك الأكبر ولم يتب،بخلاف الشرك الأصغر فإنه تحت مشيئة الله إن شاء غفر له ودخل الجنة وإنشاء عذبه بقدر الذنوب التي معه وأدخله الجنة ولهذا يدخل تحت موازنة الحسنات وموازنة الأعمال. كما بالآية بسورة الأعراف (وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) وهذا ينطبق على أهل الشرك الأكبر.

الفرق الرابع: ربما لا نسميه فرق لأنه محل خلاف وهو هل يغفر لصاحب الشرك الأصغر أو لا؟ الشرك الأصغر في محل خلاف قال بعض العلماء يبقى ذنب ويدخل تحت الموازنة أما بقية الذنوب قد يغفر الله عنها ولكن لا تدخل تحت الموازنة الحسنات والسيئات، إن هؤلاء العلماء الذين قالوا بأنه لا يغفر أخذوا بعموم قول الله تعالى(إن الله لا يغفر أن يشرك

بـــه)، على كـــل حـــال الفروق الواضـــــحـــة بين الشـــــرك الأكبر والأصـــــغر ثلاثـــة التي ذكرنـــاهـــا أعلاه.

المحاضرة الثامنة عشرة

توقفنا على الناقض الثالث من نواقض التوحيد ألا وهو النفاق وعرفنا

النفاق باللغة: هو مخالفة الظاهر للباطن، أما اصطلاحا فتعريفه يختلف باختلاف أقسامه وهو ينقسم إلى قسمين كما هي الحال في الكفر والشرك.

القسم الأول النفاق ألاعتقادي: هو أن يظهر إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وهو في الباطن مكذب لهذا كله منسلخ منه بالظاهر يظهر للناس الإيمان قال تعالى (وَإِذا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذا خَلَوْاْ إِلى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ) نحن في الباطن في الحقيقة لا نؤمن لكن في الظاهر أظهروا للناس إيمانهم بالله عز وجل. وهذه كحال المنافقين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. ذكر أهل العلم صورا ومظاهر لهذا النوع من أنواع النفاق منها كما ذكر ابن القيم بغض النبي صلى الله عليه وسلم فبغض النبي صلى الله عليه وسلم صورة من صور النفاق الاعتقادي، أن ينطوي قلبه على كره وبغض النبي صلى الله عليه وسلم فهذه صورة من الصور، ومن صور النفاق الاعتقادي بغض ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم أن يبغض الإسلام وأن يكره الإسلام النبي صلى الله عليه وسلم جاءنا بهذا الدين فيبغض هذا الشرع وهذا الدين فهذه صورة من صور النفاق الاعتقادي، الصورة الثالثة أن يبغض شيء مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، قد لا يبغض كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم لكن يبغض شيء مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) أن يبغض مثلا الصلاة والزكاة كشرع من الله عز وجل ويبغض الصيام والحج هذه صورة من صور النفاق الاعتقادي النفاق الأكبر، أو بغض ذكر أهل العلم وبغض الإسلام وأهل الإسلام وانتصار المسلمين والمسرة بانخفاض دين النبي صلى الله عليه وسلم والفرح بعلو أعداء الإسلام وانتصارهم على المسلمين هذه كلها صور من صور النفاق الاعتقادي أو السخرية بالدين وبأهل الدين كما قال الله عز وجل عن حال المنافقين الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ {التوبة/٦٥} لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) صور النفاق الاعتقادي كثيرة جاء ذكرها في سورة التوبة البراءة والمنافقين وذكر أهل العلم تفصيله.

القسم الثاني: النفاق العملي وهو النفاق الأصغر وكما ذكرنا بالكفر والشرك نقول هنا النفاق الأصغر أو العملي: هو ما ورد من الأعمال تسميته نفاقا. أي عمل ورد تسميته نفاق فهو نفاق أصغر، مثاله قول النبي صلى الله عليه وسلم (آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان) الكذب بالحديث، والخيانة بالأمانة والخلف بالوعد صور من صور النفاق العملي الأصغر.

أيضا من صور النفاق العملي الأصغر التكاسل في القيام للصلاة يقول تعالى عن المنافقين (وَإِذا قَامُواْ إِلى الصَّلاَةِ قَامُواْ كسالى) كذلك عدم ذكر الله عز وجل إلا قليلا (وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً) في حال المنافقين التخلف عن صلاة الفجر والعشاء يقول النبي صلى الله عليه وسلم (أثقل الصلاة على المنافقين صلاة الفجر وصلاة العشاء) الشاهد أن هذه الأعمال كلها سماها الشارع الحكيم نفاقا فهي نفاق أصغر لكن إذا اجتمعت واستحكمت على قلب الإنسان وعلى أعماله قد تنقل الإنسان من النفاق العملي إلى النفاق الاعتقادي كما جاء بالحديث أنها لا تجتمع إلا في قلب منافق خالص النفاق، أيضا من صور النفاق العملي التخلف عن صلاة الجماعة كما في حديث عبد الله بن مسعود (ولقد رأيت ألا يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق) يعني صلاة الجماعة، أنه يؤتى بالرجل يهادى بين الرجلين حتى يوقف بين الصف، المرض

الذي أصابه مع ذلك لا يتخلف عن صلاة الجماعة، الشاهد صور النفاق العملي كثيرة وهذا هو الذي خافه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وخافه أهل العلم على أنفسهم لأن النفاق الاعتقادي معروف الذي يظهر الإيمان ويبطل الكفر هذا الشيء واضح ولكن الإشكال بالنفاق العملي وهو الذي خافه عمر على نفسه وخافه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وخافه أهل العلم على أنفسهم لأنه هو الذي يتسلل إلى أعمال الإنسان من حيث لا يشعر الفرق بين النفاق الاعتقادي والنفاق العملي كالفرق تماما بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر والكفر الأكبر والكفر الأصغر.

الفرق الأول: النفاق الاعتقادي هو المتعلق بالاعتقاد والقلب، أن يظهر الإنسان الإيمان وهو يبطن الكفر بخلاف النفاق العملي فهو المتعلق بالأعمال مع إيمان الإنسان بقلبه بالله وملائكته وكتبه ورسله.

الفرق الثاني: النفاق الاعتقادي يخرج صاحبه من دائرة الإسلام النفاق العملي لا يخرج صاحبه من دائرة الإسلام.

الفرق الثالث: النفاق الاعتقادي يحبط أعمال العبد أي لا ينتفع بأعماله ولا ينتفع منها في شيء بخلاف النفاق العملي فإنه لا يحبط جميع الأعمال، كما أن النفاق الاعتقادي يخلد صاحبه بالنار بل إنه بالدرك الأسفل من النار بخلاف النفاق العملي فإنه يدخل تحت موازنة الحسنات وإذا أراد الله عز وجل وحكم عليه بدخول النار فإنه لا يخلد فيها كحال صاحب النفاق الاعتقادي.

الولاء والبراء.

بعد هذا ننتقل إلى موضوع الولاء والبراء والموضوع هذا متعلق بالتوحيد و نواقض التوحيد، الولاء والبراء أصلان من أصول عقيدة المسلم ولهذا كثر ذكرهما في نصوص الوحي في الكتاب والسنة وجاء التأكيد عليهما ولكن وجد بالأمة خاصة في هذه العصور المتأخرة وبسبب واقع الاختلاط والامتزاج والتقارب بين الأمم والثقافات وسهولة الاتصال حصل هناك خلط في مفهوم الولاء والبراء، فوجدت طائفة من الناس غلت في هذا الجانب حتى أدخلت بعض المسائل التي لا علاقة لها في الولاء والبراء في موضوع الولاء والبراء، هناك طائفة من الناس جفت في هذا الموضوع وحاولت إذابة ما يسمى بالولاء والبراء وتهميش وإقصاء هذا الأصل العظيم الذي هو من أصول عقيدة المسلم، لا تصح عقيدة المسلم إلا بالولاء والبراء لكن ما هو المفهوم الصحيح المفهوم الشرعي المفهوم الذي دلت عليه الأدلة والنصوص وطبقه العلماء وفهمه العلماء الفهم الصحيح هذا هو الذي نريد أن نفهمه في هذا اللقاء وإلا لا يشك المسلم أن الولاء والبراء من صحيح عقيدة المسلم (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ..) (وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) ولهذا ذكر بعض أهل العلم أن من أكثر المسائل جاء ذكرها في نصوص الوحي بعد التوحيد مسألة الولاء والبراء بل إن لا إله إلا الله هذه الكلمة العظيمة هي في واقع الأمر ولاء وبراء لكن ما المفهوم الصحيح للولاء والبراء؟ هذا هو الإشكال، عندنا أناس فهموها بغير مفهومها الصحيح وغلو فيها فقابلهم طائفة أخرى أرادوا تصحيح هذا الخطأ فصححوا الخطأ بخطأ أشنع منه حيث جعلوا الولاء والبراء مسألة هامشية لا اعتبار لها.

الولاء باللغة معناها: القرب والنصرة والولي ضد العدو، وإلى فلانا فلان أي أحبه فإذا أطلق لفظ الولاء في لغة العرب فالمقصود بها القرب والنصرة والمحبة.

الاصطلاح: فمفهوم الولاء هو محبة المؤمنين لأجل إيمانهم ونصرتهم والنصح لهم وإعانتهم، محبة المؤمنين لا لأجل جنسهم ولونهم ولا لمكان إقامتهم بل هي محبة المؤمن لأجل الإيمان، ويجب نصرة هذا المؤمن بالنفس والمال إذا كان

هناك استطاعه ونصرته باللسان ونصرته بكفه عن الوقوع بالباطل لقول النبي صلى الله عليه وسلم)انصر أخاك ظالما أو مظلوما) فإذا كان مظلوم نصرته معروفه وإذا كان ظالم فكفه عن الظلم وبين له خطورة الظلم، إعانة المسلم أيا كان هذا المسلم لأنه مسلم لا لأجل قرابة أو لأجل الجنس أو اللون بل لأجل الإيمان الذي تلبس به ولهذا الإسلام رفع من شأن بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي ونبذ أبى لهب عم النبي صلى الله عليه وسلم وأبى جهل سادة من سادات قريش وأميه بن خلف وعتبه وشيبه أبناء ربيعه فالميزان في الإسلام بالنسبة للمحبة والبغض والولاء والبراء هو الإيمان، هذا هو المقصود بالولاء.

أما البراء لغة: فالمقصود به التباعد عن الشيء ومفارقته والتخلص منه إذا أردت أن تتبرأ من الشيء تبتعد عنه تتخلص منه هذا باللغة.

أما بالاصطلاح: هو بغض أعداء الله من الكفار والمنافقين. أي ينطوي قلبك على بغض هؤلاء لأجل ماذا؟ لا لأجل أنهم يعيشوا في البلد الفلاني أو أنهم من الجنسية الفلانية أو من القبيلة الفلانية بل بغضه لأجل الوصف الذي قام به لأجل الكفر والنفاق لأجل أنه يكفر بالله عز وجل لأجل أنه لم يوحد الله عز وجل فقط، لكن ينبغي عدم الخلط، ولا ينبغي أن يحملني هذا البغض على الظلم أن أظلم هذا الشخص وإن كان كافرا لا يجوز أن أظلمه بقدر أنمله، لا أظلمه في ماله فأعتدي عليه وأن لا أظلمه في نفسه أو أظلمه في ماله وأحاول أن أستولي على ماله بالغش وهذا لا يجوز وليس هو من البراء الشرعي، بل هذا من الظلم الذي حرمه الله عز وجل أن لا أظلمه في أهله وعرضه، لكن لا يعني هذا أن أصرف له محبة قلبي لهذا يجب التفريق، بعض الناس اعتقد خاطئا أن من لوازم البغض أن أظلم هذا الشخص من أجل الكفر لا، ولهذا تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الكفار الذين في وقته خاصة المعاهدين منهم اليهود والنصارى وكانوا يعيشون معه في المدينة، كان كفار قريش تأتي رسلهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويجلسون معه، بل ويدخلون بيت النبي صلى الله عليه وسلم ويأكلون من طعامه وما كان ليظلمهم قدر أنمله لكن لا يعني هذا أن أصرف لهم شيئا من المحبة أو شيئا من ولاء قلبي.

قد أمرنا الله عز وجل أن نبر هؤلاء الذين لم يقاتلونا في الدين ولم يخرجونا من ديارنا أن تقسطوا إليهم، أيضا أمرنا بالعدل معهم قال تعالى (اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) هذا هو الولاء والبراء الشرعيان.

الولاء والبراء المطلوب من المؤمن أنه يجب يصرف كامل المحبة لأهل الإيمان وأن يبغض الكفار لكن لا يعني محبتي لأهل الإيمان أن أعينهم على باطلهم وأن أسكت على خطئهم ومنكرهم ولا يعني بغض الكافر أن أعتدي عليه أو أظلمه بل له كامل العدل.

المسألة الثانية المتعلقة بالولاء والبراء، هل يجتمع الولاء والبراء والمحبة والبغض في حق شخص واحد؟ وبعبارة أخرى ما موقفنا من المسلم العاصي؟ هل يصرف له كامل المحبة أو يصرف له كامل البغض؟ عندنا إنسان مؤمن لم يخرج عن دائرة الإيمان لكنه وقع في شيء من المعاصي شيئا من الكبائر فكيف تتعامل مع هذا الشخص من هذا المنطلق من هذا الأصل الذي هو الولاء والبراء؟ الصحيح أنه يجتمع في حقنا اتجاه هذا الشخص الولاء والبراء والحب والبغض معا،فهذا المؤمن العاصي يحب بقدر ما فيه من الطاعة والإيمان ويبغض بقدر ما فيه من المعصية والمخالفة فكلما عظمت معصيته وعظمت كبيرته كلما انطوت

قلوبنا على بغضه بقدر ما فيه من المعاصي، لكن لا يعني هذا مصادرة هذا الرجل جملة وتفصيلا أي لا يكون له شيء من المحبة والولاء بل هو داخل في دائرة الإيمان فله المحبة العامة لأهل الإيمان بقدر ما عنده من الإيمان ومن الطاعة تصرف له هذه المحبة القلبية، بقدر ما فيه من المعصية والكبيرة يصرف له البغض والبراء منه ولهذا نقول أن المؤمن العاصي حتى المبتدع الذي بدعته لا تخرجه عن دائرة الإسلام يجتمع في حق هذين الرجلين الولاء والبراء والمحبة والبغض في آن واحد بخلاف بعض الفرق الأخرى كالوعيدية والمرجئة زعموا أنه لا يمكن أن يجتمع في حق رجل واحد الولاء والبراء معا، بل نقول يجتمع في حق الرجل بقدر ما معه من الإسلام والطاعة يحب، وبقدر ما معه من المعصية والبدعة يبغض، هذا ما يتعلق بموضوع الولاء والبراء وعرفنا أن منزلتهما منزلة عالية وأن مكانتهما مكانة رفيعة من الدين فهما أصل من أصول الاعتقاد ويجب على المؤمن أن يحب أولياء الله عز وجل وأن يوالي أولياء الله عز وجل قال تعالى((لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ...) الولاء والبراء أصل من أصول الاعتقاد ولكن ينبغي أن يأخذ هذا الأصل على وفق ما ورد بالنصوص الشرعية وما جاء عن أهل العلم وكما فهمه السلف رحمهم الله الفهم الصحيح.

المحاضرة التاسعة عشرة

انتهينا من الكلام عن الأصل الأول الذي هو الإيمان بالله وتطرقنا لبعض المسائل المتعلقة بهذا الأصل ونبدأ بالكلام عن

الأصل الثاني ألا وهو الإيمان بالملائكة. والملائكة جمع ملك والملك في اللغة: مأخوذ من الألوكة وهي الرسالة والملائكة هم رسل الله في تنفيذ أمره الكوني وهم رسل الله في تدبير أمره الديني الذي تنزل به على الرسل من البشر، رسل الله في تنفيذ أمره الكوني تصريف الرياح إنزال المطر كل ما من شأنه تصريف هذا الكون هم رسل الله عز وجل وجنوده في هذا الأمر كما أنهم رسل الله عز وجل أيضا في تدبير الأمور المتعلقة بالجانب الشرعي فهم حملة الوحي من الله عز وجل كما سيأتي هم الذين يقيدون أعمال بني آدم هم منهم من يعبد الله عز وجل إلى آخره والإيمان بالملائكة المقصود به اصطلاحا: هو الاعتقاد الجازم بأن لله عز وجل ملائكة خلقهم سبحانه لعبادته ووكلهم بأعمال يقومون بها ومنحهم الطاعة التامة لأمره والقوة على تنفيذه، لاحظ خلقهم لعبادته فهم لا يعصون الله عز وجل في أمر ووكلهم بأعمال يقومون بها- وسيأتي إن شاء الله ذكر أصنافهم والأعمال التي وكلوا بها- ومنحهم الطاعة التامة لأمره إذا أمرهم امتثلوا لأمره ليس كما هي الحال بالنسبة للإنس والجن منهم من تمرد على طاعة الله لا، الله عز وجل منح هؤلاء وجبلهم على طاعته سبحانه وأعطاهم القوة على تنفيذ ما أمر ولهذا يمكن لملك من الملائكة أن يحمل أمه من الناس ويقلبهم كما هي الحال مع الأمة اللوطية فلهم من القوة والحركة ما لغيرهم من المخلوقات، والإيمان بهم ينقسم إلى قسمين، إيمان إجمالي إيمان مجمل وإيمان تفصيلي.

الإيمان الإجمالي: الإيمان بأن لله عز وجل ملائكة لا يعلم عددهم وصفاتهم إلا هو سبحانه.

الإيمان التفصيلي: الإيمان بمن سم الله عز وجل من هؤلاء الملائكة والإيمان بأعمالهم التي وكلوا بها فيؤمن مثلا بجبريل عليه الصلاة والسلام ويؤمن أن الله وكل إليه أمر الوحي فهو رسول الله بين الله وبين رسله، يؤمن بإسرافيل ويؤمن بميكائيل يؤمن بملك الموت يؤمن بملك الجبال إذا نؤمن بهم تفصيلا بأسمائهم يعني بذواتهم جبريل وإسرافيل وميكائيل ونؤمن بأعمالهم ونؤمن أيضا بما ورد من صفاتهم كما سيأتي، أدلة الإيمان بالملائكة فيه الأدلة التي سبق ذكرها بالإيمان بالله قول الله عز وجل (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ) أيضا قوله (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) وقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل (أن تؤمن بالله وملائكته وبكتبه ورسله وباليوم الآخر) والإيمان بالملائكة لا شك أنه داخل في الإيمان بالغيب لأن الملائكة أمر غيبي غير مشاهد حتى هذه الصفات والأعمال التي ذكرها الله عز وجل كلها لا نشاهد كيف تصريف الملائكة لهذه الأمور، ولهذا من لوازم الإيمان بالغيب أن نؤمن بالملائكة قال الله عز وجل

(الم {البقرة/١} ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ {البقرة/٢} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) الذين يؤمنون بالغيب، جعل أعظم ما يميز هؤلاء الإيمان بالغيب،وأيضا ما يبين منزلة الملائكة أن الله قرن شهادتهم بشهادته سبحانه، الشاهد أننا نؤمن بما جاء من ذكرهم على وجه الخصوص في القرآن والسنة وأيضا نؤمن بهم إجمالا أن لله ملائكة لا يعلم عددهم وصفاتهم وأعمالهم إلا هو سبحانه وتعالى. الملائكة ذكرهم الله عز وجل لهم صفات متعددة منها أن الله خلقهم من نور كما ثبت في صحيح مسلم إن الله عز وجل قال النبي صلى الله عليه وسلم (أن الله خلق الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم) فالله عز وجل خلقهم من نور بخلاف الجن وبني آدم أيضا من صفاتهم أن الله خلق لهم أجنحة يتفاوتون بعددها كما قال

سبحانه (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ) وجاء أيضا في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابن مسعود (رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح) أيضا الصفات التي جاءت في ذكر هؤلاء الملائكة أن الله أعطاهم خاصية التشكل فقد يأتون بصورة البشر وكان جبريل عليه الصلاة والسلام كثيرا ما يأتي بصورة دحيه الكلبي وفي حديث جبريل أنه جاء في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله، والوحي أيضا الملك جاء إلى مريم في صورة بشر، أيضا الملائكة الذين جاءوا إلى إبراهيم جاءوا في صورة بشر، هذه بعض صفات الملائكة، أما أسماء بعض الملائكة ووظائفهم وما وكلوا به من أعمال فكما أسلفنا أن عددهم كثير جدا لا يحصيه إلا الله عز وجل وقد قال الله (وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ) وفي حديث معراج النبي صلى الله عليه وسلم لما رفع عليه البيت المعمور يقول (فسأله جبريل وقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليه) ووردت النصوص في ذكر بعض أسماء الملائكة وأعمالهم على وجه الخصوص فمنهم وعلى رأسهم ومقدمهم جبريل عليه السلام الموكل بالوحي، قال تعالى (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ {الشعراء/١٩٢} نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ {الشعراء/١٩٣} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) وقال سبحانه (قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ) وجاء في بعض النصوص أن ميكائيل هو الملك الموكل بالقطر وإسرافيل الملك الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة ولهذا جاء ذكر هؤلاء الملائكة الثلاثة في حديث دعاء الليل (اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض...) الحديث رواه مسلم، وهناك أيضا ما ورد في ذكر مالك وهو خازن النار (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) وجاء ذكر ملك الموت لكن لم يثبت اسمه نص (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) ومن أيضا أصناف الملائكة وأعمالهم حملة العرش (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا) (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ) أيضا هناك الملائكة الموكلون بالأجنة في الأرحام كما بحديث عبد الله بن مسعود (حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون نطفة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات....) وهناك أيضا الحفظة الموكلون بحفظ بني آدم كما قال تعالى (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم

(يتعاقبون إليكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) وهناك أيضا الملائكة الموكلون بكتابة أفعال بني آدم كما قال تعالى (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ {الانفطار/١٠} كِرَامًا كَاتِبِينَ {الانفطار/١١} يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) وقال سبحانه(إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ {ق/١٧} مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) أيضا هناك الملائكة السياحون في الأرض الذين يلتمسون حلق الذكر كما جاء في حديث أبي هريرة (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم) وهناك أيضا الملائكة الموكلون بقبض الأرواح عند الموت (حَتَّىَ إِذا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ) وهناك أيضا الملائكة الموكلون بسؤال الميت في قبره جاء في بعض الروايات أن أحدهم اسمه منكر والآخر نكير وهناك أيضا خزنة جهنم كما قال الله سبحانه وتعالى عن النار (عَلَيْهَا

مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) وهناك أيضا خزنة الجنة كما قال تعالى (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ).

أما الثمرة من الإيمان بالملائكة ثمرات كثيرة منها:

١ـ أن الإنسان إذا عرف المقصود بالملائكة والغاية من خلقهم تبين له أنه لا يجوز أن يصرف لهم شيء من أنواع العبادة ولا أن تتعلق القلوب بهم بالاستعانة بهم أو دعائهم أو الاستغاثة أو صرف شيء من العبادات لهم، ولهذا قال سبحانه (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) لكن هذا يدعوا إلى محبة هؤلاء الملائكة ومعرفة قدرهم ومكانتهم عند الله عز وجل.

٢ـ العلم بعظمة الله عز وجل ورحمته، فعظم المخلوق دليل على عظم الخالق أيضا كثرة هؤلاء الملائكة وسعة سلطان الله عز وجل وملك الله عز وجل.

٣ـ وجوب شكر الله على هذه النعمة حيث جعل من هؤلاء الملائكة من هو موكل بحاجات بني آدم لحفظه وحفظ أعماله ورعايته فهذا من رحمة الله عز وجل به.

٤ـ معرفة قدر الإنسان لنفسه حقيقة وأن لا يدلي على الله بطاعة أو بعبادة وأن يتعاظم بهذا في نفسه وأن يتكبر على الله عز وجل. فما عبادتك بجانب عبادة هذه الملائكة الذين يعبدون الله عز وجل الليل والنهار لا يفترون؟ كما جاء في الحديث (أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا ملك قائم أو راكع أو ساجد) هذه بعض الثمار المتعلقة بالإيمان بالملائكة.

ننتقل بعد ذلك إلى الأصل الثالث من أصول الإيمان ألا وهو الإيمان بالكتب التي أنزلها الله عز وجل على رسله إلى خلقه رحمة بهم وهداية لهم ليصلوا بذلك إلى سعادة الدارين الدنيا والآخرة، والإيمان بالكتب المقصود به: الكتب جمع كتاب والمراد بها الكتب التي أنزلها الله عز وجل على رسله إلى خلقه رحمة بهم وهداية لهم ليصلوا بذلك إلى السعادة في الدارين الدنيا والآخرة. والإيمان بالكتب المقصود به: هو الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل أنزل على رسله كتبا ليبلغوها إلى الناس وهذه الكتب هي كلام الله عز وجل حقيقة ضمنها أخباره الصادقة وأحكامه العادلة فيها الحق والهدى والنور والكفاية لمن أنزلت عليه، هذا هو المقصود بالإيمان بالكتب على وجه الإجمال فهي كاملة تامة متضمنة لسعادة الخلق في الدارين الدنيا والآخرة، والإيمان بالكتب إيمان تفصيلي وإيمان إجمالي.

أما الإيمان بالكتب التفصيلي: الإيمان بما ذكر من هذه الكتب ونص عليها على وجه الخصوص، مثل: القرآن الذي أنزله الله عز وجل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام، وصحف إبراهيم وموسى فهذه ذكرت بالقرآن على وجه الخصوص فنؤمن بها تفصيلا. كما يجب الإيمان بالكتب إجمالا بما سمى الله أو لم يسمى منها فهناك كتب أنزلت على رسل لا يعلمها إلا الله عز وجل الأدلة على الإيمان بالكتب كالأدلة التي وردت في الإيمان بالله والإيمان بالرسل (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ...) وأيضا حديث جبريل المشهور.

الكتب السماوية السابقة هل سلمت من التحريف؟

الجواب: لا.. الكتب التي أنزلها الله على موسى وعيسى هي التوراة والإنجيل لم تسلم من التحريف والتغيير والتبديل بل كما قال الله عن اليهود (مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ) (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۖ) وقال عن النصارى (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ)

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) الشاهد أن هذه الكتب وكل الله حفظها إلى أهلها فلم تسلم من التحريف والتغيير والتبديل حتى تضمن بعضها بعض ما يتنزه الله عز وجل عنه كما ذكر في القرآن أنهم وصفوا الله أنه فقير ونحن أغنياء وقالوا يد الله مغلولة غلت أيديهم ووصفوا أنبياء الله ورسله بما يتنزهون عنه ولعل من الشواهد المعاصرة وجود نسخ كثيرة لهذه الكتب متباينة فيما بينها بالزيادة والنقص والمتضادة في بعض أخبارها وأحكامها وهذا مما يدل على أنه اعتراها التبديل والتحريف لكن هل كل ما فيها محرف مبدل؟ الجواب لا فهذه الكتب فيها الحق الذي أنزل على أولئك الأنبياء لم يغير ولم يبدل لكن فيها ما حذف وبدل ولهذا اختلط فيها الحق بالباطل وصار فيها جزءا محرفا وجزءا كما أنزل، بعبارة مختصرة نقول أن هذه الكتب جرى عليها من التحريف وحرف بعضها ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم دعا أحبار اليهود ودعا بكتابهم ليريهم آية الرجم كما أنزلت على موسى.

المحاضرة العشرون

بقي عندنا بعض المسائل من المسائل المتعلقة بذلك من لوازم الإيمان بالكتب الإيمان بالقرآن على وجه الخصوص والإيمان بالقرآن على وجه الخصوص يتضمن منها:

أولا: أنه كلام الله تعالى منزل غير مخلوق، كما قال تعالى " تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم وقال سبحانه (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ).

ثانيا: أن الله أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فيه الهدى والنور أخباره صادقة وأوامره محكمة كما قال تعالى (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا) وقال سبحانه (الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) ثالثا: أيضا من لوازم الإيمان بالقرآن الإيمان بمحبة هذا القرآن وتعظيم قدره والتصديق بأخباره وإتباع أوامره والتمسك به واجتناب ما ورد فيه من النواهي فهذا القدر زائد عن الإيمان في الكتب السابقة بمعنى أن الإيمان بالقرآن يلزم منه العمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه وإتباع أوامره واجتناب نواهيه كما قال سبحانه " وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا " وقال تعالى " اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء.

رابعا: الاعتقاد الجازم أن الله عز وجل حفظه من الزيادة والنقصان كما قال سبحانه " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" الأمم السابقة وكل إلى علمائها حفظ كتبهم فغيروا وبدلوا أما هذه الأمة إن الله عز وجل تكفل بحفظ كتابه ولهذا سلم من الزيادة والنقصان " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم" إذن هذا القرآن محفوظ بحفظ الله فهو مكتوب في المصاحف متناقل بالألسنة مشافهة بالتواتر من زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا لا يستطيع أي أحد كائن من كان أن يزيد فيه كلمة أو ينقص بل لا يستطيع أن يزيد حركة ويغير تلك الحركة. هذا ما يتعلق به الإيمان بالكتب على وجه الإجمال.

الأصل الرابع الإيمان بالرسل.

بعد هذا ننتقل إلى الأصل الرابع الذي هو الإيمان بالرسل، والرسل جمع رسول بمعنى مرسل كما أن الأنبياء جمع نبي مشتق من النبأ وهو الخبر، والإيمان بالأنبياء والرسل المقصود الإيمان بهم جملة وتفصيلا كما سيأتي. الإيمان بمن سمى الله والإيمان بأن هناك رسلا لم تذكر أسماؤهم على وجه الخصوص في كتاب الله عز وجل. الفرق بين النبي والرسول، اختلف أهل العلم في الفرق بين النبي والرسول وقبل أن نذكر الفرق نقول أن القول الراجح أن هناك فرق بين النبي والرسول لا كما ذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا فرق بين النبي والرسول لأن الله عز وجل قال " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته" ولعل من أحسن الأقوال في الفرق بين النبي والرسول أن الرسول من بعث إلى قوم كفار بشريعة جديدة بالنسبة إليهم، لا يعني أن تكون جديدة بمعنى أن تكون جديدة في نفسها لكن جديدة بالنسبة لهؤلاء المرسل إليهم. أما النبي فهو من بعث إلى قوم مؤمنين مجددا لنبوة من قبله. فالفرق أن الرسول يبعث في رسالة جديدة بالنسبة لهؤلاء المرسل إليهم أما النبي فهو مجدد لشريعة من قبله.

المراد بالإيمان بالرسل: هو الاعتقاد الجازم بأن الله بعث في كل أمة رسولا يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وأن كل هؤلاء الأنبياء صادقون مصدقون فيما قالوا ناصحون أتقياء أمناء على شرع الله بل له جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله عز وجل الإيمان بهم تفصيلا بمن سمى الله منهم في كتابه وعددهم خمسة وعشرون جاء ذكر جملة منهم في سورة الأعراف

وغيرها، كما أنه يجب الإيمان بهم جملة بمعنى بمن لم يسمي الله من هؤلاء وأن من الرسل لم يذكر اسمه على وجه الخصوص كما قال تعالى (وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) أما أدلة الإيمان بالرسل فقد تقدم كما تقدم في أدلة الإيمان بالكتب والملائكة. بعد هذا ننتقل إلى مسألة أولوا العزم من الرسل ذكرنا الآن الرسل منهم جملة ذكر الله عز وجل على وجه الخصوص وهم خمسة وعشرون ومنهم رسل لم يذكروا هؤلاء كثيرون ولا يعلم عددهم إلا الله، ومن هؤلاء المذكورين أولوا العزم ومعنى أولوا العزم: ذوي البصيرة والعزم قال تعالى " فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل " من هم أولوا العزم؟ الصحيح أنهم { نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، ونبينا محمد النبي صلى الله عليه وسلم } وقد جاء ذكرهم في قوله سبحانه " وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا" وأيضا جاء ذكرهم في سورة الشورى قال تعالى " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه" إذن أولوا العزم هم هؤلاء الخمسة على القول الراجح وهم أولوا الصبر وأولوا الحزم صلى الله عليهم وسلم تسليما كثيرا.

الواجب على المؤمن تجاه الرسل:

١ــ الإيمان بهم جميعا وأن رسالتهم حق من الله عز وجل وأنهم صادقون فيما أخبروا به ولا يجوز التفريق بينهم بأن يؤمن ببعضهم ويكفر بالبعض الآخر قال سبحانه (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً{النساء/١٥٠} أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا) أيضا قال سبحانه (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) وهم لم يكذبوا إلا رسولا واحدا لكن من كذب برسول فكأنما كذب بالجميع، إذن هذا الواجب الأول الإيمان بهم جميعا والتصديق بأنهم رسل من الله.

٢. الاعتقاد أنهم خيار الخلق وأن الله عز وجل اصطفاهم واختارهم على سائر الناس قال تعالى " الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير " وقال تعالى (اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ).

٣ــ الاعتقاد أن دعوتهم واحدة بمعنى أنهم اتفقوا في أصل الدعوة وهي الدعوة إلى توحيد الله عز وجل (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ) أما في تفاصيل أحكام الشرع فلكل شرعة ومنهاجا (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا).

٤ــ الاعتقاد بأنهم أدوا الأمانة وبلغوا الرسالة ونصحوا للأمة كما أمر الله عز وجل وأنهم معصومون في كل ما يبلغون به عن الله، قال تعالى (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ {العنكبوت/١٨}) (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا {النساء/٦٤}) (رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ).

٥ــ محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم ونصرهم كما قال تعالى (وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا) قاله في حق بني إسرائيل.

٦. الاعتقاد أنهم بشر مخلوقون ليس لهم شيء من خصائص الربوبية.

٧ــ الاعتقاد بأن الله فضل بعضهم على بعض بمعنى أنهم ليسوا على درجة واحدة في الفضل والمكانة فأفضل الأنبياء والرسل أولوا العزم وأفضل أولوا العزم الخليلان وأفضلهم على الإطلاق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

أما الإيمان بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فلها قدر زائد على ما تقدم فمن لوازم الإيمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم:

أولا: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر والانتهاء عما نهى عنه وزجر فيطاع على وجه الخصوص له طاعة خاصة بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ) ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع الله دخل الجنة ومن عصاني فقد عصى الله ومن عصى الله دخل النار) وقال (إذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم).

ثانيا: محبته فوق جميع المحاب كما قال تعالى (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ) وقال سبحانه (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) وقال في حديث عمر (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، فقال عمر: والله لأنت أحب إلي من ولدي ووالدي والناس أجمعين إلا من نفسي فقال: لا حتى من نفسك قال: والله لأنت أحب إلي من نفسي قال: الآن يا عمر) فيجب أن تقدم محبته على جميع المحاب.

ثالثا: الاعتقاد الجازم أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه في أعظم موقف حيث قال (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) وسأل الناس في هذا المجمع في يوم عرفة وقد اجتمع لهم ما لم يجتمع في غير من المواقف حيث اجتمع له أكثر من ١٠٠ألف فقال: إنكم مسئولون عني يوم القيامة فماذا أنتم قائلون؟ قالوا بصوت واحد نشهد إنك قد بلغت وأديت ونصحت، فرفع إصبعه الكريمة إلى السماء وقال: اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد. ولهذا لا يجوز أن يبتدع الإنسان في دينه بدعة لم يشرعها النبي صلى الله عليه وسلم ومن ابتدع بدعة فكأنه يستدرك على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يبلغ الرسالة كما أمر (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) كأنه يستدرك على النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا عائشة رضي الله عنها قالت: لو كان النبي صلى الله عليه وسلم كاتما شيء من الوحي لكتم قصته مع زيد وقصته مشهورة كما في سورة الأحزاب.

رابعا: أن يراعى في أصحابه وأهل بيته بمعنى أن يعرف لهؤلاء قدرهم وحقهم عليهم رضي الله عنهم وأرضاهم فلهم من المكانة والمنزلة ما لغيرهم لأن الله عز وجل اصطفاهم واختارهم على سائر الناس.

خامسا: الاعتقاد الجازم أن الله ختم به الرسالات فلا نبي بعده فرسول الله خاتم النبيين وقال النبي صلى الله عليه وسلم وختمت بي النبوة.

سادسا: الاعتقاد أن رسالته عامة للناس جميعا بخلاف الأنبياء قبله والرسل كان الرسول يبعث إلى قومه خاصة أما النبي صلى الله عليه وسلم فبعث إلى الناس عامة من الإنس والجن (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) وفي الحديث الذي في الصحيحين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم (إني فضلت على الأنبياء في خمسة) وفي رواية

(بـ ست) وكان النبي يبعث في قومه خاصة وبعثت للناس عامة) وفي الحديث الذي في صحيح مسلم (ولا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار).أيضا هذه الأمور اللازمة للإيمان به على وجه الخصوص.

بقي عندنا مسألة متعلقة بالأنبياء والرسل ألا وهي دلائل النبوة التي يعرف بها صدق النبي ويعرف بها كذب المدعي للنبوة، وهي متنوعة وكثيرة وغير محصورة في نوع محدد فالله لما أرسل هؤلاء الرسل أيدهم بدلائل ومعجزات تبين صدقهم فيما ادعوه، أنزل الله عز وجل على يديهم هذه الآيات البينات التي لا يختلج في نفس الإنسان الشك أنهم صادقون فيما أخبروا به فمن هذه الدلائل وهي كثيرة منها:

١ـــ إخبارهم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أعدائهم وبقاء العاقبة لهم، منهم أخبروا الأمم أن الله عز وجل سينصرهم على أعدائهم سيكون النصر حليفهم فحصلوا على ما أخبروا به.

٢. هناك الآيات الحسية المشاهدة مثل الناقة التي أوتيها صالح وقلب العصا حية لموسى وفلق البحر لموسى وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى وجعل النار بردا وسلاما على إبراهيم والمعجزات الكثيرة التي جرت لنبينا صلى الله عليه وسلم من أعظمها هذا القرآن الذي بين يدينا الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٣ـــ أن ما جاءوا به من الشرائع والأخبار كانت في غاية الإحكام والإتقان وكشفت هذه الشرائع عن حقائق كانت خافية للناس ولا يزال بعضها خافيا وذلك من خلال الحكم في هذه التشريعات. وهذا مما يعلم بالضرورة أنه لا يصدر إلا عن من أيده الله عز وجل.

٤ـــ أن تأييدهم مستمر لا ينقطع بخلاف الكذاب المدعي النبوة فإنه غالبا هذا التأييد لا يستمر يتبين في النهاية خذلانه وفشله وكذبه.

٥. أن طريقتهم واحدة فيما يأمرون به من عبادة الله عز وجل فكما سبق أنهم اتفقوا في دعوة الناس إلى حقيقة واحدة.

قد يسأل السائل ما الفرق بين دلائل النبوة وخوارق السحرة والكهان؟ نقول على سبيل الإجمال أن أخبار الأنبياء لا يقع فيها تخلف أو غلط بخلاف أخبار الكهان والمنجمين فالغالب عليها الكذب.

الأمر الثاني أن السحر والكهانة والاختراع أمور معتادة معروفة للناس بخلاف آيات الأنبياء. وأن الأنبياء مسلمون مؤمنون يعبدون الله عز وجل وحده لا شريك له بخلاف السحرة والكهان فهذا يغلب عليهم الشرك والمعاصي والكبائر. كذلك أن الفطرة والعقول توافق ما جاء به الأنبياء والرسل بخلاف خوارق السحرة. وأخيرا أن معجزات الأنبياء لا تحصل بأفعالهم هم بل الله عز وجل يفعلها لهم.